# عمر حياة حافظ

في

تاريخ سيدنا عمر وسيرته ومناقبه وأخلاقه

لشاعر النيل

## حافظ إبراهيم

بعناية

بسام عبد الوهاب الجابي

الجفان والجابي

دار ابن حزم

# عمر حافظ

في

تاريخ سيدنا عمر وسيرته ومناقبه وأخلاقه

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

**AL-JAFFAN & AL-JABI**
Printers - publishers

JAFFAN TRADERS P.O. Box: 54170 - 3721 Limassol-Cyprus
Fax: 357 - 25 - 878804 Phone: 357 - 25 - 878805
http://www.jaffan.com/ - E-mail: hj@jaffan.com

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

# عمر رحيمة

في

## تاريخ سيدنا عمر وسيرته ومناقبه وأخلاقه

لشاعر النيل

## حافظ إبراهيم

بعناية

بسام عبد الوهاب الجابي

الجفان والجابي
للطباعة والنشر

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأَتمُّ التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

## ترجمة حافظ إبراهيم

## ١٢٨٧ ـ ١٣٥١ هـ = ١٨٧١ ـ ١٩٣٢ م

هو محمد حافظ بن إبراهيم فهمي المهندس ، الشهير بحافظ إبراهيم ، شاعر النيل ، وشاعر مِصر القومي ، ومُدوِّن أحداثها ربع قرن ونَيِّفًا ، وأحد كبار شعراء مصر المُحْدَثِين ، ومن أشهر مشاهير شعراء العصر .

وحافظ شاعر فَحْل ، له على اللغة العربية يَدٌ جليلةٌ بما نَظَم ونَثَر ، إنشاءً وترجمةً ، وحلّق شاعراً مرْهفاً وناثراً بليغاً ، تعددت آفاقه في نظم الشعر ، وأسْهَمَ مُجَلِّياً في كلِّ فَنٍ من فنونه . امتاز بشعره الوطني الاجتماعي ، فهو شاعر المجتمع في جيله .

أما شخصيته المتفرِّدة فتتسم بكونه شاعراً مِصْرياً ، إِذ كان شعره لسان الشعب الناطق ، وشاعراً شرقياً ، إِذ تعدّت آفاقُ شعره مصْرَ إلى الشرق كُلِّهِ ، وشاعراً ساخراً لاذعَ السُّخريةِ ، كما يبدو من قصته : « ليالي سطيح » . وهو نديمٌ من أصْفَى الندماء ، ذكيٌّ مداعِبٌ ، سَمْحٌ ملاعِبٌ ، فريدٌ بشَخْصِيَّتِهِ ، فريدٌ بذاتِهِ .

فقد كان جَهْمَ الصوتِ جهيرَه ، بَدِيع الإلقاء ، جَهْم الخِلقة والجسْمِ ، خفيفَ الظِّلِّ ، عَذْبَ الرُّوح ، مَرِحاً ، حُلْوَ الحَديث ، سميراً ، رائِعَ النُّكْتة حاضِرَها ، صادِقَ الوصْفِ ، واضِحَ القَوْل والمَعْنى ، رَصِينَ القافِيَة ، مَتِين الخيالِ ، مُرْهَفَ الحس ، مُتَدَفِّقَ البيان ، قويَّ التعبير ، قويَّ الحافظة ، راوية ، مُهَذَّبَ النفس ، كريمَ اليد في حاليْ بؤسه ورخائه .

ولد في ذهبية[1] بالنيل ، كانَتْ راسية أمام دَيْرُوط ، بأعْلىٰ الصَّعِيد ، وتوفي أبوه بعد عامين من ولادته ، ثم ماتت أمه بعد قليل من مجيئها به إلى القاهرة ، فَيُتِّمَ باكراً ، فخادَنَه

---

(١) الذهبية : نوع من السفن في النيل يستعملها المسافرون ، وليس لها سطح ، وفي مؤخرتها بيت كبير ذو غرف ، حيث يستطيع ستة مسافرين الجلوس والنوم ، وشراعها المثلث الزوايا مفرط السعة .

الفَقْرُ والبُؤْسُ في القاهِرة ، حَيْثُ كانَ دَخَل في كَنَفِ خالِه الذي أَدْخَلَهُ المدارس ، فَمَلَّها في السادسة عشرة ، ومالَ عنها الى عشرة الأُدباء ومنادَمَةِ الأَصدقاء .

نَظَمَ الشعْرَ في أثناءِ الدراسة ، ولمَّا شَبَّ أَتْلَفَ شِعْرَ الحداثة جميعاً ، واشتغل مع بعض المحامين في طنطا ، فالقاهرة محامياً ، ولم يكُنْ للمحاماة يومئذ قانون يُقَيِّدُهَا .

دخل المدرسة الحربية عام ١٨٩٠ م ، ورقي الى رتبة ضابط في الجيش بسلاح المدفعية وعمل في السودان ردحاً إلى أن سُرِّح لاتهامه بتحريض الجند على العصيان ، حيث أَلَّفَ مع بعض الضباط المصريين « جمعية » سرية وطنية ، اكتشفها الإنكليز ، فحاكموا أعضائها ومنهم حافظ ، حيث أحيل للاستيداع .

اتصل بالشيخ محمد عبده اتصال التلميذ بأستاذه والمريد بشيخه ، وَأَخَذَ عَنْه دِيناً وَعِلْماً وثَقافةً وأَدباً ، كما أَفاد منه صلاتٍ وجاهاً . إذْ توسّط له الشيخ محمد عبده ، فأعيد إلى الخدمة في الشرطة .

أستقال سنة ١٩٠١ م من الجندية ، وَاشْتَغَل « مُحَرِّراً » في جريدة « الأهرام » ، وَلُقِّبَ بـ« شاعر النيل » ، وطار

صيتُهُ ، واشتهر شعره ونثره . وكانت مصر تغلِي وتتحفَّزُ ، ومصطفى كامل يوقد روح الثورة فيها ، فَضَربَ حافظ على وتيرته ؛ فكان شاعر الوطنية والاجتماع والمناسبات الخطيرة . وعكف على الكتابة والنظم زمناً .

عُيِّنَ رَئِيساً للقسم الأَدبي في دار الكتب الخديوية عام ١٩١١م ، ولبث في عمله هذا نحواً من عشرين سنة ، ثم انتقل الى وكالة المكتبة .

توفي في القاهرة .

**مؤلفاته :**

١ ـ « ديوان حافظ » ، طبع ٣ مرات في أجزاء مختلفة ، منها في مصر ، دار الهلال ، بعناية وشرح محمد إبراهيم هلال ، ١٣٤٠/ ١٩٢٢ ؛ ثم مطبعة المعاهد ، ١٩٢٢ ، في ٣ أجزاء ؛ ثم طبعة مكتبة الهلال مع مقدمة لخليل مطران ؛ ثم أعيد طبعه بعناية الأستاذ أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري في جزئين ، في مطبعة دار الكتب المصرية ؛ طبعات كثيرة.

نقده في « الضياء » ، ٤ : ١١٦ ـ وفي « المشرق » ، ٢٠ : ٤٧٥ ، و٣٣ : ٤٦٨ ـ وفي « المقتطف » ، ٢٦ :

٩٩٥ ، و٣٢ : ٥١٠ ـ وفي « الرسالة » ، ٩ : ١٥٣١ ، و١٠ : ١١٧٦ و١١ : ٤٩٧ ، و١٨ : ٨٥٧ ، ١٩٥٠ .

٢ ـ رواية « البؤساء » ، لفكتور هيغو ، جزآن ، مصر ، ١٩٠٣ .

٣ ـ « الموجز في علم الاقتصاد » (مع خليل مطران) ، مصر ، ١٩١٣ ؟ ، ٥ أجزاء .

٤ ـ « التربية والأخلاق » ، جزآن .

٥ ـ « ليالي سطيح » ، قصة مصرية ، نقدية ، اجتماعية ، على مثال « حديث عيسى بن هشام » ، للمُوَيْلِحِي ، مصر ، مطبعة محمد مطر ؟ ، ص ١٢٨ . ودار الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ١٧٧ صفحة ، مع مقدمة بقلم طاهر الطناحي .

٦ ـ « عمر : مناقبه وأخلاقه » ، أو « عمرية حافظ » ، القاهرة ، مطبعة الصباح ، ١٩١٨ ، ص ٤٨ . شرحها مصطفى الدمياطي بعنوان : « ذكرى حافظ ، شرح القصيدة العمرية » ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٣٣ ، ص ٩٠ .

وراجع صفحة : ٣٣ التالية .

* * *

# مصادر ومراجع

١ ـ كتب خاصة به :

أحمد سليمان الحاج ، « صدى الحسرات : قصائد في رثاء شوقي وحافظ » .

مصطفى الدمياطي ، « ذكرى حافظ : شرح القصيدة العمرية » ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٣٣ ، ص ٩٠ .

طه حسين ، « حافظ وشوقي » ، مصر ، مطبعة الاعتماد ، ٢٤٤ صفحة .

أحمد عبيد ، « ذكرى الشاعرين حافظ وشوقي » ، دمشق المكتبة العربية ، ١٢٥٢/١٩٣٣ ، (ضم أكثر ما كتبه الأدباء في مصر والشام والعراق والمغرب عن هذين الشاعرين ، قبل وفاتهما وبعده ، وجمع أكثر المراثي التي قيلت فيهما ، مع مقتطف مختار ، وأكثره لم ينشر بعد) .

حسن مهدي الغَنّام ، « حافظ إبراهيم : دراسة وتحليل ونقد » .

أحمد الطاهر ، « محاضرات عن حافظ إبراهيم » .

سامي الدهان ، « شاعر الشعب » ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٣ ، ص ١٢٦ ، (سلسلة اقرأ رقم : ١٢٠) .

إبراهيم عبد القادر المازني ، « شعر حافظ » ، القاهرة ، مطبعة البوسفور ، ١٩١٥ ، (مقالات عدة في نقده كان سبق له نشر بعضها في « عكاظ ») .

حسن كامل الصيرفي ، «حافظ وشوقي»، مصر ، ١٩٤٨ .

رفائيل مسيحية ، « حافظ إبراهيم الشاعر السياسي » ، مصر ، ١٩٤٧ ، مطبعة الاعتماد ، ص ١١٢ ، (مقدمة لأحمد الشايب ، منشورات دار الفكر العربي) .

عبد السميع المصري ، « شاعرا العروبة : حافظ وشوقي » ، مصر ، دار الفكر الحديث للطبع والنشر ، ١٩٤٨ ، ص ٨٣ .

أحمد محفوظ ، « حياة حافظ إبراهيم الشاعر الثائر » ، مؤسسة نصار للتوزيع والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص٢٤٦ .

السياسة الأسبوعية ، عدد خاص بحافظ ، ٢ سبتمبر/ أيلول ، ١٩٣٢ .

مجلة أبولو ، عدد خاص بحافظ ، يوليو/ تموز ، ١٩٣٣ .

مجلة أبولو ، ملحق فبراير/ شباط ، ١٩٣٤ ، ١٦٩ صفحة ، (جمع ما قيل في الحفلة التي أقامتها الجالية السورية ـ اللبنانية في الجمهورية الفضية لتخليد ذكرى حافظ وشوقي) .

مجلة الجهاد الحلبية، «شوقي وحافظ»، حلب، ٥٧ ص، (جمع ما قيل في الحفلة التي أقيمت لشوقي وحافظ) .

مجلة المجمع العلمي العربي، ١٢ : ٧٣٥ ـ ٧٦٤، (خطاب حقى العظم ، فارس الخوري ، « حياة حافظ إبراهيم » لمحمد كرد علي ، « حافظ واللغة العربية » لعبد القادر المغربي ، قصيدة لشفيق جبري ، خطاب قنصل مصر) .

**٢ ـ كتب تناولته بالبحث :**

محمد عبد الفتاح إبراهيم، «شعراؤنا الضباط»، ٥٣ ـ ٩٥ .

عبد العزيز البشري ، « المختار » ، ١ : ٢٩٤ ؛ وفي كتابه « المرآة » ، ١١٣ .

محمد حاج حسين ، « عبقرية الأدب العربي » ، ٢٧ .

عبد الوهاب حمودة ، « التجديد في الأدب المصري الحديث » ، ١٠٣ ـ ١١٩ .

محمود تيمور ، « ملامح وغضون » ، ٢١٥ .

محمد عبد الغني حسن ، « أعلام من الشرق والغرب » ، ٩٤ ـ ١١٢ .

إبراهيم دسوقي أباظه ، « وميض الأدب بين غيوم السياسة » .

عبد الرحمن الرافعي ، « شعراء الوطنية » ، ٩٥ .

أحمد حسن الزيات ، « وحي الرسالة » ، ٢ : ٢٤٣ .

حسن السندوبي ، « الشعراء الثلاثة » ، ٣٤٩ ـ ٤٢٠ (مصورة) .

الدكتور جميل سعيد وشركاه ، « تاريخ الأدب العربي الحديث للصفوف الثالثة المتوسطة » ، ١٤١ .

أحمد الشايب ، « أبحاث ومقالات » ، ٤٢٧ .

يوسف إليان سركيس ، « معجم المطبوعات العربية » ، عمود ٧٣٦ .

« شعراء العصر الحاضر » ، ٨٠ ـ ١٣٠ .

خليل ضاهر ، « الشعر والشعراء » ، ٥١ .

محمد فريد أبو حديد ، « عصاميون من الشرق والغرب » ، ١١٩ (مصورة) .

أحمد عبيد ، « مشاهير شعراء العصر » ، القسم الأول : مصر ، ١٨١ ـ ٢٠١ (مع رسمه وأقوله) .

مارون عبود ، « دمقس وأرجوان » ، ٨٦ ـ ٩٨ .

عباس محمود العقاد ، «شعراء مصر وبيئاتهم» ، ٧ ـ ٢٠ .

حنا فاخوري، «تاريخ الأدب العربي»، ١ : ٩٦٥ .

سعد ميخائيل ، « شعراء الشام والعراق ومصر » ، ٢٣٢ (مصورة) .

شوقي ضيف ، « دراسات في الشعر العربي المعاصر : الوطنية في شعر حافظ » ، ١ ـ ٢٠ .

عيسى الناعوري ، « الجديد في الأدب العربي » ، ٧٥ .

محمد أمين النواوي، «الأدب العربي في الأندلس»، ٨٦ .

خير الدين الزركلي ، « الأعلام » .

يوسف أسعد داغر ، « مصادر الدراسة الأدبية » ٢/ ٢٧٩ ـ ٢٨٥ .

**٣ ـ مقالات المجلات العربية :**

عبد الفتاح بركات ، « مع حافظ في ديوانه » ، الرسالة ، ١٩٥٠ ، ١٨ : ٨٥٧ .

محمد رجب بيومي ، « إنكلترة في مرآة حافظ » ، الرسالة ، ١٩٤٧ ، ١٥ : ١١٧٣ ، و١٢٠٨ .

عبد العزيز البشري ، « بيني وبين حافظ إبراهيم » ، الهلال ، ٤٦ : ٢٥٧ .

أنطوان الجميّل ، « حافظ والفرزدق » ، الزهور ، ١ : ١٩ ، (موازنة بين قصيدة حافظ في أمير مصر الخديوي عباس باشا وقصيدة الفرزدق في زين العابدين) .

أنطون الجميّل ، « الأمراء والشعراء : أمس واليوم » ، الزهور ، ١ : ٢١ .

حاصد ، « إدمون روستان وحافظ الشاعران » ، الزهور ، ٢ : ٣٦ .

بشارة الخوري ، « شوقي وحافظ الشاعران » المورد الصافي ، ١٧ : ٩٠ (قصيدة) .

بشارة الخوري ، « رثاء حافظ » ، (قصيدة) ، الهلال ، ٤١ : ١٣١٩ .

رئيف خوري ، « حافظ إبراهيم » ، الطليعة ، ٣ : ٣٤٧ ، و٥١٥ .

أسعد داغر ، « ديوان حافظ إبراهيم » ، المقتطف ، ٢٦ : ٩٩٥ .

حليم دموس ، « ذكرى حافظ إبراهيم من مارس/ آذار ١٩٣٧ إلى آذار ١٩٣٨ » ، الشهباء ، ١٣ : ٣١ .

حليم دموس ، « ذكرى حافظ » ، الضاد ، حلب ، ٧ : ٢١٤ (قصيدة ألقاها في الأوبرا الملكية) .

حليم دموس ، « تحية حافظ » ، المورد الصافي ، ١٤ : ٣٦٣ (قصيدة) .

مصطفى صادق الرافعي ، « حافظ إبراهيم » ، المقتطف ، ٨١ : ٢٦٦ (مصورة) .

مصطفى صادق الرافعي ، « كلمات عن حافظ » ، الرسالة ، ١٩٣٥ ، ٣ : ١٢٤٣ .

أحمد حسن الزيات ، « العبقرية والقريحة أو شوقي وحافظ » ، الرسالة ، ١ : ١٣ .

أحمد حسن الزيات ، «ذكرى حافظ» ، الرسالة ، ١٤ : ٣ .

أحمد حسن الزيات ، « محمد حافظ إبراهيم » ، الرسالة ، ١٠٧ : ١١٦١ .

جرجي زيدان ، « كيف يفكر الأديب : المنفلوطي ، شوقي ، حافظ ، مطران ؟ » ، الهلال ، ٣١ : ١٢٠١ .

س . ، « ساعة مع حافظ بك إبراهيم » ، الهلال ، ٣٦ : ٩٠٦ .

ش . ص . ، « شعراء مصر الثلاثة : حافظ ـ شوقي ـ مطران » ، المجلة السورية ، ٣ : ٧٣ (عن البصير) .

فؤاد صرُّوف ، « صيحة الشاعر » ، المقتطف ، ٩٠ : ٤٥٢ .

فؤاد صرُّوف ، « في حفلة ذكرى حافظ » ، المورد الصافي ، ١٩ : ٤٠١ .

حسن كامل الصيرفي ، « شوقي وحافظ » ، ١٩٤٧ ، ١١١ : ٣٠٢ ، و٤٠٧ ، (ظهر على حدة في كتاب خاص ، انظر أعلاه) .

طه حسين ، « حافظ وشوقي » ، الهلال ، ٤١ : ١٦١ ـ ١٨٠ .

أحمد عبد الله طعيمة ، « البائس الخالد محمد حافظ إبراهيم » ، التعليم الإلزامي ١ ، عدد ٣ : ٢٧ .

طاهر الطناحي ، « حافظ إبراهيم : حياته في ثوبها البارز » ، الهلال ، ٤١ : ٢٥ .

أحمد عثمان عبد المجيد ، « شاعر النيل » ، الرسالة ، ٥٥ : ١٢٢٩ (بمناسبة ذكراه) .

أحمد العجان ، « حافظ إبراهيم الشاعر الوفي لمصر » ، الرسالة ، ٥٦ : ١٢٦٧ .

أحمد العجان ، « حافظ بك إبراهيم : أثر أخلاقه في حياته وشعره » ، الرسالة ، ١٠٧ : ١١٧٧ ، و١٢٢٦ .

نسيب عريضة ، « قيثارتان : شوقي وحافظ » ، المقتطف ، ٨٢ : ٤٥٧ .

أمين الغريب ، « ذكرى شاعر النيل : حافظ إبراهيم » ، الصافي ، ١٩ : ٣٩٢ .

سيد قطب ، « على هامش النقد ، بمناسبة ذكرى حافظ » ، الرسالة ، ٨ : ١٤٥٠ ، (يستدرك فيه على ما جاء في خطبة أحمد أمين في كلية الآداب في الحفلة التي أقيمت إحياء لذكرى حافظ) .

حسن مهدي الغنام ، « في آفاق حافظ » ، الرسالة ، ١٩٤٨ ، ٧٨٥ : ٨١٦ ، و٧٨٦ : ٨٤٤ .

محمد كرد علي ، « حافظ إبراهيم وشعره الاجتماعي » ، السياسة الأسبوعية ، عدد ١٣٧ ، و١٣٨ ، (محاضرته في ردهة المجمع العلمي العربي) .

كرم ملحم كرم ، « مصر تنسى شاعرها حافظ إبراهيم » ، الرسالة ، ٥٨ : ١٣٣٦ .

كرم ملحم كرم ، « حافظ إبراهيم شاعر الفخامة » ، الرسالة ٥ ، عدد ١٩٥ : ٤٨٥ .

عبد الأحد الكتاني ، « كلمة عن حافظ » ، مجلة المغرب ، ١٩٣٢ ٣ : ٣ .

سامي الكيالي ، « حافظ إبراهيم أول شاعر للنهضة الاجتماعية : صلاته الوثقى ببلاد الشام » ، الحديث ، ١٩٣٢ ، ٦ : ٧٢٣ .

سامي الكيالي ، «حافظ إبراهيم» ، الحديث ، ٧ : ٥٧٤ .

زكي مبارك ، « ديوان حافظ إبراهيم » ، الرسالة ١٠ ، عدد ١١٧ ، و١١ ، عدد ٤٩٧ : ٢٤ .

حافظ محمود ، « فن الحياة في تاريخ الأدباء : بين حافظ وشارلس ديكنز » ، الهلال ، ٤٣ : ٦٠٥ .

خليل مطران ، « حافظ إبراهيم » ، الكشاف ، ٣ : ٢٧٦ (قصيدة) .

إسماعيل مظهر ، « حول حافظ وشوقي وأثرهما في

إحياء الشعر العربي»، المقتطف، ٤١ : ٣٤٣، و٨١: ٥٤٩.

إبراهيم عبد القادر المازني ، « صديق حافظ إبراهيم » ، مجلة العصبة ، ١٩٤٨ ، ٩ : ٧٢٩ .

عبد القادر المغربي ، « حافظ واللغة العربية » ، المقتطف ، ٨١ : ٥٦٠ .

سلامة موسى ، « حافظ إبراهيم بك » ، الهلال ، ٣٢ : ٦٣١ .

مديحة ياسين الهاشمي ، « رثاء حافظ وشعبيته » ، العروة ١ ، عدد ٢ : ٩ ، بيروت .

محمد حسين هيكل ، « تكريم شوقي وحافظ ومطران : أول مظاهر التعاون العقلي بين الشرق والغرب » ، السياسة الأسبوعية ، ٤/ ٢/ ١٩٢٨ ، ١٠٠ : ١٠ .

إحياء ذكرى حافظ إبراهيم في دار الأوبرا : بروغرام الحفلتين ، الرسالة ٥ ، عدد ١٩٢ : ٣٩٦ .

« إمارة الشعر العربي بعد شوقي » ، الرسالة ، ١ : ٤ .

«أين أخبار حافظ؟»، الرسالة، ١٩٤٢، ١٠ : ٧٣٣.

« حافظ إبراهيم شاعر البؤس والبؤساء » ، الرسالة

المخلصية ، صيدا ، ٦ : ٧٥ ، و١٦٨ ، و٢٣٥ .

« حافظ والسوريون » ، الهلال ، ١٦ : ٤٣٣ .

« حافظ في سورية » ، العرفان ، ١٨ : ٧٢ .

« حفلة تكريم حافظ بك إبراهيم في دمشق » ، مجلة المجمع العلمي العربي ، ٩ : ٣٦٣ .

« الحفلة الكبرى لتكريم حافظ في منتدى الجامعة الأمريكية في بيروت » ، الكلية ، ١٥ : ٣٣٨ ، (كلمة أنيس المقدسي ، قصيدة حافظ ، قصيدة خليل مطران) .

«حول حفلة تكريم حافظ» ، فتاة الشرق ، ٣١ : ٣٠٠ .

« ريحانة شوقي على قبر حافظ » ، مجلة المجمع العلمي العربي ، ١٣ : ١٤٨ .

« شاعر النيل في أوروبة » ، الهلال ، ٣٢ : ٢٩٨ .

« الشاعران الأكبران : شوقي وحافظ » ، الحارس ، ١٠ : ١١٧ .

« الشعراء الأربعة : حافظ إبراهيم » ، العرفان ، ٢٣ : ٤٨٠ .

« من نوادر شاعر النيل » ، الضاد ، ٤ : ٧٥ .

«وصف حافظ الشاعر لخليل مطران»، الضاد، ٤ : ٢٠٣ .

«وفاة حافظ إبراهيم» ، المورد الصافي ، ١٦ : ٤٣٣ ، (مقتطفات من خطاب داود بركات) .

مجلة الشرق ، «حافظ إبراهيم»، ١٩٣٣، ٣١: ٦٩١ .

مجلة العرفان ، «حافظ إبراهيم» ، ٢٣ : ٤٨٠ .

مجلة الإنسانية ، «حافظ إبراهيم» ، ٢ : ٢٨٩ .

مجلة الرسالة، «في آفاق حافظ إبراهيم»، مجلد ١٩٤٨ ، ص ٨١٦ ، و٨٤٤ .

* * *

## ترجمة مصطفى بك نجيب

## (١٢٧٧ ـ ١٣١٩هـ = ١٨٦١ ـ ١٩٠١م)

هو مصطفى بن محمد نجيب، كان من الأُدباءِ المشاهِير، قَضَىٰ حياتَهُ في خِدْمَةِ الحُكُومَةِ المِصْرِيَّة ، كوكيل لقسم الإدارة بوزارة الداخلية المصرية .

قال عنه مصطفى كامل : كاتب من عِلْيَةِ كتّاب المسلمين، ومؤرّخ من كبار المؤرّخين .

من مؤلفاته :

ـ « أحلام الأحلام » وفيه مواضيع اجتماعية انتقادية ، مطبعة اللِّواء ، ١٣١٨ ، ٨٤ صفحة .

ـ « حماة الإسلام » في التراجم ، وصل فيه إلى القرن السادس الهجري تقريباً ، ومات قبل إتمامه ، عني بنشره مصطفى باشا كامل ، جزءان ، مطبعة اللواء ، ١٩٠١م ، وكتب عليه أنه تأليف كاتب من كبار الكتاب .

وهذا الكتاب كتاب نفيس ، وهام ، وجدير بكل ناشئ أن يقرأه ، كي يُكَوِّن فكرة وإن كانت بسيطة عن تاريخ أمته ، ابتداءً من السيرة النبوية والخلفاء الراشدين . لذلك عملت على إخراجه ، وطَبَعْتُهُ لدى الجفان والجابي للطباعة والنشر ، ليماسول ، قبرص . ومن كتاب « حماة الإسلام » اسْتَلَلْتُ ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، إفادة للقارئ ، ونفعاً له .

* * *

# تَرْجَمَة مُحَمَّد ٱلْخُضَرِيّ
## (١٢٨٩ ـ ١٣٤٥ هـ ـ ١٨٧٢ ـ ١٩٢٧ م)

هو محمد بن عفيفي الباجوري ، المعروف بالشيخ ٱلْخُضَرِيّ .

ولد بالقاهرة ، وكانت إقامته في الزيتون .

مِصْرِيٌّ أَزْهَرِيٌّ باحِثٌ خَطِيبٌ ، من عُلَماءِ الشَّرِيعة والتاريخ والأدبِ ، وكاتِبٌ من أقْدَرِ الكتّاب .

بعد تَخرُّجه من دار العلوم ، عُيِّنَ قاضياً شرعياً في الخرطوم بالسودان ، ثم مدرساً في مدرَسة القضَاء ٱلشَّرْعي وأستاذ الشريعة الإسلامية فيها ، ومُرَبٍّ عَمِل في التدريس ٢٣ سنة ، وعمل مُفَتِّشاً بوزارة المعارف المصرية ، وَٱسْتَمَرَّ في التفتيش إلى أنْ توفّاهُ الله .

عُرف بنشاطِه الفِكْري الجمّ، فَٱتَّصل بكثير من الجمعيات والجماعات . وهو إلى هذا ، خطيبٌ مُفَوَّهٌ . لُقِّبَ بالخُضَري نِسْبةً الى شَيْخ أَبيهِ الرُّوحي .

دَرَسَ في الأَزْهر مدة سبع سنوات، حَضَر فِيها فِقهاً ونَحْواً، وَتفْسيراً وحَديثاً ، وبلاغةً ومَنْطِقاً وتوحِيداً ، على أجلاء

شُيوخه . ثم دخل دار العلوم وتخرج منها وعُيِّنَ فيها مُدَرِّساً .

عمل عضواً في لجنة تعديل قانون الأحوال الشَّخْصِية .

وهو كاتب معروف بالمتانة والدقة وجمال الأسلوب وقوة الحجة ، ويمتاز بحبّه للإصلاح وبغضه للجمود على كل قديم ، وله في المباحث الدينية والرسائل والمحاضرات ما يسمو به إلى منزلة المصلحين .

توفي ودفن بالقاهرة في ٨ شوال ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٧ م .

**مؤلفاته :**

١ ـ « نور اليقين في تاريخ سَيّد المرسلين » ، مصر ، مطبعة الجامعة ، ١٣١٣ ، ص ٣٦٧ . وله طبعات كثيرة جداً ، وفي مختلف البلدان ، وبتعليق وتحقيق الكثير من الباحثين ، من أفضلها ما طبعه الأستاذ ماجد الحموي ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ م .

٢ ـ « إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء » ، القاهرة ، مطبعة المؤيد ، ١٣١٧ ، ص ٣٣٦ ؛ ثم في مطبعة دار الكتب العربية ، ص ٢٤٦ .

٣ ـ « تاريخ التشريع الإسلامي » ، القاهرة ، مطبعة دار

الكتب العربية ، ١٣٣٩ هـ = ١٩٢٠ م ، ص ٤٠١ .

نقده الشيخ عبد القادر المغربي في مجلة المجمع العلمي العربي، ٢ : ١٨٨ ـ وفي المقتطف ، ١٩٢٢ ، ٦٠ : ١٨٦ .

٤ ـ « مهذّب الأغاني » ، ٨ أجزاء .

نقده طه حسين ، في كتابه « حديث الأربعاء » جزء ٣ : ٦٨ ، و٧٥ ، و٧٨ ـ وعبد الرحمن محمود ، في المقتطف ، ٦٦ : ٢٠٢ ، و٣١٥ .

٥ ـ « محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية » ، (محاضراتٌ ألقاها في الجامعة المصرية) :

١) من تاريخ البعثة النبوية إلى الدولة الأُموية .

٢) تاريخ الأمم الإسلامية في الدولة العباسية : العلوية والأتابكة وإغارة المغول .

نقده الشيخ محمد العربي بن التَّبَّاني بن الحسين السطيفي المغربي ، في كتابه « النصيحة والاستدراكات على كتاب المحاضرات للخضري » .

٦ ـ « الدروس التاريخية الإسلامية » ، مصر .

٧ ـ حاشية الشيخ محمد الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، مصر ، المطبعة الأزهرية ، ١٩٢٦ ،

في مجلدين .

٨ ـ « أصول الفقه » ، طبعة ٢ ، القاهرة ، ١٩٣٣ ، ص ٤٩٠ .

٩ ـ « محاضرات في بيان الأخطاء العلمية التي اشتمل عليها كتاب الشعر الجاهلي ، للدكتور طه حسين » ، مصر ، مطبعة الشباب ، ص ٧٥ .

وملحق مجلة القضاء الشرعي ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ٨٥ صفحة .

١٠ ـ « الغزالي وتعاليمه وآراؤه »

* * *

## مصادر ومراجع

**كتب خاصة به :**

كتب تاريخية في كراسات تربو على العشر .

**كتب تناولته بالبحث :**

محمد عبد الجواد ، تقويم دار العلوم ، ٢٧٩ (مصورة) .

سركيس ، « معجم المطبوعات العربية والمعرّبة » ،

عمود ٨٢٦ .

خير الدين الزركلي « الأعلام » .

يوسف أسعد داغر « مصادر الدراسة الأدبية » ٢/ ٣٣٥ و٣٣٦ .

**مقالات المجلات العربية :**

محمد عبد الجواد ، « الشيخ محمد الخضري » ، صحيفة دار العلوم ١٣ ، عدد ٢ .

* * *

## تَرْجَمَة عبد الحميد حَمْدي

## (٠٠٠ ـ ١٣٦٩ هـ = ٠٠٠ ـ ١٩٥٠ م)

عبد الحميد حَمْدي : كاتِبٌ مصري . اشتهر بمجلته « السفور » وأصدر جريدة « الضياء » يومية فأسبوعية . وكان يفتح صَدْرَ صُحُفِهِ للدُّعاة إلى السُّفُورِ ، قبل انتشارِه بِمصْر ، فاسْتُهْدِفَ لكثيرٍ من المطاعن . وعمل في الصَّحافة زهاء نصف قرن . وكان يُؤْثِرُ صحافَةَ الرَّأْي على صحافة الخَبَرِ .

توفي بالقاهرة[١] .

وَصِلَتُهُ بِهَذِهِ ٱلطبْعَةِ أَنَّه عُهِدَ إِليه أَمْرُ ٱلطبع .

* * *

## ترجمة هاشم الرفاعي

## (. . . . ـ ١٣٧٨هـ = . . . . ـ ١٩٥٩م)

ٱسْمُهُ الحقيقي : سَيِّد بن جامِع بن هاشِم بن مصطفى الرِّفَاعِيّ ، لكنَّه ٱشْتَهَرَ باسْمِ جَدِّه هاشِم .

ٱلْتَحق بمعهد الزقازيق الدِّيني التابع للأَزْهر سنة ١٩٤٧م ، وحَصَل على الشهادة الابتدائية عام ١٩٥١م ، ثُمَّ أَكْمَلَ دراسته الثانوية وحصل على شهادتها عام ١٩٥٦ ، ثُمَّ ٱلْتَحَقَ بدارِ العلوم . وتوفي قبل أن يَتَخرَّجَ عام ١٩٥٩م ، في الثاني من شهر يوليو/ تموز .

* * *

**هذا الكتاب :**

يَتَضَمَّنْ هَذا الكتاب نص « القصيدة العمرية » التي نظمها

---

(١) الصحف المصرية ١٢/ ٧/ ١٩٥٠ . عن « الأعلام » للزركلي .

شاعر العربية حافظ إبراهيم رحمه الله ، راثياً سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، متغنِّياً بِمَنَاقِبه وأَخْلاقِه ، مُنَوِّهاً بسيرته وتاريخه . يتصدَّرُها مقدَّمةٌ للأستاذ الشيخ محمد بك الخضري رحمه الله ، متضمنة لشرح الأستاذ عبد الحميد حمدي لبعض الألفاظ والكلمات .

وَخَيْرُ من يعرّف بـ« القصيدة العمرية » ما كتبه المرحوم مصطفى بن علي الهَهْيَاوي المعروف بالدِّمْيَاطِيِّ (١٢٨٧ـ١٣٥٩ هـ = ١٨٧٠ ـ ١٩٤٠ م) كمقدمة لشرحه لهذه القصيدة ، فقد قال :

فَقَدْ دَفَعَتْنِي الصداقَةُ التي كانت بَيْني وبَيْن حافِظ رحمه الله إلى تَعْليق هذا الشَّرح على قصيدَتِهِ العُمَرية ، فإنها جديرةٌ بالتعليق عَلَيْها لما تَضمَّنَتْهُ من مناقب عمر بن الخطاب الإمام العادِلِ ومن حوادث أيامه الرائعة التي نَظَمها حافظ في لغةٍ صَحِيحةٍ ، ودِقَّةِ مَعْنى ، وصَوْغٍ مَطْبُوعٍ ، وقَصَصٍ حَسَنٍ ، مِمَّا جَعَلَها في المنزلةِ الأُولى من الشِّعْر الخالِدِ .

لَيْس كثيراً على حافظٍ أَنْ تَمْلأ نفسَهُ عاطفَةُ الدِّين ، فتَنْدَفِعُ إلى نظم مِئة وسبعة وثمانين بيتاً من الشِّعْر الجيِّد الرَّصِينِ في مِدْحَةٍ لِعُمَرَ رَضِي الله عنهُ ، فإنَّ حافظاً بما كانَ عَلَيْه من إِيمانٍ صحيحٍ ، كان فخوراً بالإِسْلام ، فخوراً برِجالِهِ

العِظام ، أُولَئِكَ الذينَ شَادُوا مَجْدَهُ ، وَنَهَضُوا بِدَوْلَتِهِ . هذا ، وَإِنَّ التَّنْويهَ بِمَناقِبِ عُمَرَ تَسْتَحقُّ عليه المَثُوبَةَ ، فَهُوَ في ذاتِهِ عَمَلٌ جَلِيلٌ يُعْتَبَرُ بِما فِيهِ مِنَ العِبَرِ وَٱلْحوادِث ، وَيُقْتَدَى بِما تَضَمَّنَهُ من الأَفْعالِ الكريمَةِ الَّتي يَبْقَى ذِكْرُها ما بَقِيَ التاريخُ .

وإِنِّي لَفِي غِنًى عَنْ بَسْطِ الكَلامِ في التَّعْرِيف بِعُمَرَ ، فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي لا يَعْرِفُ عُمَر ، خَلِيفةَ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَمِيرَ ٱلمُؤْمِنِينَ ، ذَاكَ ٱلَّذِي ضُرِبَ بِهِ المَثَلُ فِي ٱلْعَدْلِ ، وَعَرَفَهُ أَهْلُ الغَرْبِ كما عَرَفَهُ أَهْلُ الشَّرقِ ، فَإِذا ذَكَرُوهُ قالوا : عُمَر ، فَحَسْب . وَمَع هَذَا ، فَسَيَرى ٱلْقارِىءُ طائِفَةً من أَخْبارِهِ وآرائِهِ وأَقْوِلِهِ وأَفْعالِهِ وَما تَحَلَّى بِهِ من الأَخْلاقِ الفاضِلة وَٱلصِّفاتِ العالِيَةِ ، يَرَاها مَنْثورةً في أَثْناءِ الشَّرْحِ[1] ، فَيَعْرِفُ مِنْها عُمَرَ وكيف مَرَّتْ حوادِثُ ٱلإِسلامِ الأُولَىٰ ، ويَعْرِفُ ما كانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الأَوَّلُ من عَدْلٍ واعْتِزازٍ بِٱلْحَقِّ ، سَيَعْرِفُ القارىءُ عُمَرَ ذاكَ ٱلَّذِي كانَ في صِغَرِهِ يَرْعَى غَنَم أَبِيهِ ، فإِذا ما فَرَغَ من رَعْيِهِ ٱحْتَطَبَ ، كما رَوَى ذلك عَنْ نَفْسِهِ ، فَقَدْ ذَكَرَ ٱبْنُ عَساكِرَ ، عن يحيى بن عَبْدِ الرَّحْمن بن حاطِبٍ ، عن أبيهِ ، أَنَّ عُمَرَ قالَ لَهُ حِينَ مَرّا بمكان يُسَمَّى : ضَجْنَان (جَبَلٌ بِقُرْبِ مَكَّةَ) : كُنْتُ أَرْعَىٰ

(١) يقصد المرحوم الهَهْيَاوي « شَرْحَهُ » .

لِلخَطَّاب بهذا المكانِ ، فَكانَ فَظّاً غَلِيظاً ، فَكُنْتُ أَرْعَىٰ أَحْياناً وَأَحْتَطِبُ أَحْياناً ، فَأَصْبَحْتُ أَضْرِبُ النَّاسَ لَيْسَ فَوْقي أَحَدٌ إلا رَبُّ ٱلعالَمِين . ثُمَّ قالَ :

لا شَـيْءَ مِمّـا تَـرَىٰ تَبْقَـىٰ بَشَـاشَتُـهُ
يَبْقَـىٰ ٱلإِلٰـهُ وَيُـودِي ٱلْمـالُ وَٱلْـوَلَـدُ

فلما جاءَ الإِسْلامُ ، وتَشَرَّفَ عُمَرُ بِاعْتِناقِهِ ، وكانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، جَعَلَ ٱلإسلَامُ مِنْهُ رَجُلًا آخَرَ ، بَزَّ ٱلأُمراءَ وَالخُلَفاءَ في حُسْنِ السِّياسَةِ ، وَشِدَّةِ ٱلشَّكِيمَةِ في عَدْلٍ ، وتَمَسُّكٍ بِدِينٍ ، وزُهْدٍ في دُنْيا ، وَحُسْنِ قِيامٍ على الرَّعِيَّةِ ، فَجَزَاه اللهُ خَيْرَ ما جَزَىٰ بِهِ راعياً أَحْسَنَ إِلى رَعِيَّتِهِ وَقامَ بِتَرْبِيَتِها وَتَعْلِيمِها .

وَسَيَعْرِفُ القارىءُ كَذَلِكَ أَنَّ حافِظاً رَحِمَهُ اللهُ عَمَدَ إِلىٰ طائِفَةٍ من مَنَاقِبِ عُمَرَ ، فَنَظَمَ مِنْها عِقْداً فَرِيداً لَمْ تَكْبُ شَاعِرِيَّتُهُ في بَيْتٍ مِنْ أَبْيَاتِهِ ، وَلم تَقْصُرْ عَبْقَرِيَّتُهُ عَنْ بُلوغِ المَدَىٰ ٱلَّذِي أرادَهُ من تَصْويرِ ٱلْحَوادِثِ في أَحْسَنِ صُورَةٍ وَإِبْرازِها في أَجْمَلِ أُسْلُوبٍ .

بَعْدَ أَنِ ٱحْتَفَلَ بِإِنْشادِ « ٱلْعُمَرِيّة » في أَوائِلِ سنة ١٩١٨ في حَفْلَةٍ جامِعَةٍ ، وَبَعْدَ أَنْ نَشَرَتْهَا ٱلْجَرَائِدُ ، نَقَدَها بَعْضُ

ٱلْكُتَّاب ، فَخَطَّأَ حافِظاً في تَصْدِيرِه مِناقِبَ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بحادِثَةِ مَقْتَلِه ، وسَتَأْتِي كَلِمةٌ عَلَىٰ ذَلِكَ بَعْد أربعة أبياتٍ من شَرْحِ القَصِيدَةِ .

وَخَطَّأَهُ آخَرُون في بَعْضِ كَلِماتٍ مِنْ دُونِ أنْ تَكُونَ لَهُمْ أَنَاةٌ على النَّظَرِ في أبْيَاتِ ٱلقَصِيدَةِ وَاسْتِخْراجِ المعاني مِنْهَا ، وَلَوْ بِٱلْمَصِيرِ إلى ٱلْمَجَازِ في اسْتِعْمَالِ بَعْضِ ٱلْكَلِمَاتِ ، فكانَتْ تَخْطِئَتُهُمْ غَيْرَ صائِبَةٍ ، فَبَقِيَتِ « ٱلْعُمَرِيَّةُ » تاجاً فوق هامَةِ ٱلْقَصائِدِ ، وَدُرَّةً بَيْنَ دُرَرِ الشِّعْرِ الخالِدِ . انتهىٰ

ولأهميَّة هذه القصيدة ، وَما حَوَتْهُ مِنْ مَواقِفِ عِزَّةٍ وَإِباءٍ ، تُعَدُّ مثالًا وقدوةً للطالِبِ والناشىءِ ، ومصدرَ افْتِخار واستشرافٍ واستعلاءٍ وفَخارٍ للأُمَّةِ الإِسْلامية بخاصَّةٍ والعربية بعامّةٍ ؛ اختارَها أَكْثَرُ مُعدِّي البرامج التعليمية ومناهج التعليم كمادَّةٍ للدَّرْسِ والتحْليلِ ، لكن ضِيقَ المجالِ يَدْفَعُهُم لاختيارِ قِسْمٍ منها ؛ وهذا أَحَدُ الأسباب التي دفعتني لتوفيرِها بين أيدي القراء كامِلَةً .

**هذه الطبعة :**

اعتمدتُ النسخة المطبوعة بالمطبعة الرحمانية بمصر ، والتي نشرها محمود علي صبيح صاحب المكتبة المحمودية

بمصر ، دون أن يذكر تاريخ طباعتها ، ويرجح أنَّها مطبوعةٌ في العقد الرابع من القرن العشرين .

وقد ورد في صفحة العنوان بالتعريف بسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أول رجل ديمقراطي في الإسلام ! هكذا ورد ، وما أدري ما المقصود بكلمة ديمقراطي ، فإنّ معنى الديمقراطية : حكم الشعب للشعب ، فَهذَا غير موجود في سيدنا عمر ، ولكن المقصود من الكلمة ، كما يبدو لي ، في استعمالها هنا ؛ هو المساواة ، بل التساوي بين الحاكم والمحكوم ، وأن يكون الخليفة فرد من أفراد الأمة ، لا يُمَيِّزُهُ عنها إلا منصب المسؤولية الذي حُمِّلَهُ . وهذا موجود في سيدنا عمر ومتوفِّرٌ . أَوْ أَنَّ المَقْصُودَ اعتمادُهُ الشورى في انتخاب الخليفة . ومع هذا ، فلا يمكن الإقرار أنه كان الأول في كُلِّ ذلك . لذلك وجب التنبيه .

وقَابَلْتُ نَصَّ القصيدةِ على النَّصِّ الذي ورد ضمن « ديوان حافظ من صباه إلى وفاته » المطبوع سنة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٥م، مكتبة الهلال بمصر ، وكذلك على النصِّ الذي ورد ضمن « ديوان حافظ » الذي ضبطه وصحّحه وشرحَه : أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري ، الطبعة السادسة

١/ ٣٩ـ ٥٧ .

ضَبَطْتُ النَّصَّ ، وخرَّجْتُ الأَحاديثَ والأَخبارَ ، وقدَّمتُ له .

وزيادةً في الفائدة ، ألحقت بالقصيدة العُمَريّة قصيدة أخرى لحافظ إبراهيم ، لا تقلُّ شهرة عن العُمَريّة ، ألا وهي القصيدة التي تكلم فيها بلسان اللغة العربية عن نفسها وأحوالها في عصرنا .

وأتبعتُ ذلك قصيدةً للشاعر هاشم الرفاعي التي تنسلك في سلك قصيدة حافظ إبراهيم ، حيث إِنَّهُ نظم قصيدة من قافية صعبة متطرقاً إلى جميع موضوعات الشعر مثبتاً سهولة النظم وإمكانيته إن توفرت العزيمة والعلم .

وقد عَرَّفْتُ بالمؤلِّفين الذي ضمّ هذا الكتاب بعض أعمالهم .

وفي الختام ، أسأل الله تعالى أن ييسرنا للخير ، ويستعملنا صالحاً ، وَأَنْ يرحمنا ووالدينا وكل من له فضل علينا ، وآخر دعوانا أَنِ الحمد لله رب العالمين .

دمشق ١٤/ ٥/ ٢٠٠٢ بسام عبد الوهاب الجابي

# سيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ (١)
# رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ

هُوَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلِ بْنِ عَبْدِ ٱلْعُزَّىٰ بْنِ رِيَاحِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ قُرْطِ بْنِ رَزَاحِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ فِهْرٍ ٱلعَدَوِيُّ ٱلْقُرَشِيُّ ، يَجْتَمِعُ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ فِي كَعْبِ بْنِ لُوَيٍّ ، وَكِنْيَتُهُ أَبُو حَفْصٍ ، وَلَقَبُهُ ٱلْفَارُوقُ .

وُلِدَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بَعْدَ ٱلْفِيلِ بِثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَهُوَ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ ، وَإِلَيْهِ كَانَتِ ٱلسَّفَارَةُ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ . فَإِذَا وَقَعَتْ قُرَيْشُ فِي حَرْبٍ بَيْنَهَا أَوْ بَيْنَ غَيْرِهَا ، أَوْ نَافَرَهُمْ أَحَدٌ ، كَانَ هُوَ ٱلسَّفِيرُ فِي أَمْرِهِمْ ، وَٱلنَّافِرُ وَٱلْمُفَاخِرُ عَنْهُمْ .

تَرَبَّىٰ عَلَىٰ ٱلشَّهَامَةِ وَٱلنَّجْدَةِ وَٱلْحَمِيَّةِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ ٱلْمُعَارِضِينَ لِلإِسْلامِ عِنْدَ ظُهُورِهِ ، ثُمَّ مُنَّ عَلَيْهِ بِالإِسْلامِ ، فَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ مَعَزَّتِهِ بِبَرَكَةِ دَعْوَتِهِ ﷺ :

---

(١) فصل من كتاب « حماة الإسلام » لمصطفى نجيب ؛ وهو من مطبوعات الجفان والجابي للطباعة والنشر ، ليماسول ، قبرص .

« ٱللَّهُمَّ أَعِزَّ ٱلإِسْلامَ بِعُمَرَ » [راجع الترمذي ، رقم : ٣٦٨١ ، ٣٦٨٣ ؛ « مسند أحمد » رقم : ٥٦٦٣] ، فَكَانَ إِسْلامُهُ فَتْحًا ، وَهِجْرَتُهُ نَصْرًا ، وَإِمَامَتُهُ رَحْمَةً .

أَسْلَمَ في السَّنَةِ ٱلسَّادِسَةِ مِنَ ٱلنُّبُوَّةِ ، وَلَهُ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً بَعْدَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا وإِحْدَىٰ عَشْرَةَ ٱمْرَأَةً ، فَمَا دَانَ بِٱلإِسْلامِ حَتَّىٰ أَشَارَ عَلَىٰ ٱلنَّبِيِّ ﷺ بِتَرْكِ ٱلاخْتِفَاءِ وَٱلتَّسَتُّرِ وَإِظْهَارِ ٱلدِّينِ ، فَخَرَجَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ ٱلْمُسْلِمُونَ صَفَّيْنِ يَقْدُمُ أَحَدَهُمَا عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ (كَأَنَّهُ قَارِعَةُ ٱلْقُدْرَةِ ٱلْعُظْمَىٰ) ، وَيَقْدُمُ ٱلآخَرَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ عَمُّ ٱلنَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمْ يَكُنْ مَنْظَرًا أَنْكَىٰ فِي عُيُونِ ٱلْمُشْرِكِينَ مِنْ هَذَا ٱلْمَظْهَرِ ، يَشُقُّ مَرَائِرَهُمْ ، وَيُحْرِجُ صُدُورَهُمْ ، تَوَدُّونَ لَهُمْ مِنَ ٱلأَذَىٰ مَا يَوَدُّونَ وَمَا هُمْ بِبَالِغِيهِ .

كَانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ نَصِيرًا لِلدِّينِ بِمَا آتَاهُ ٱللهُ مِنْ قُوَّةِ ٱلبَطْشِ ، غَيْرَ مُسْتَخْفٍ بِعَمَلِهِ وِلا هَيَّابٍ لأَحَدٍ ، كَأَنَّ ٱللهَ قَدْ ٱخْتَارَ لِسَانَهُ لِلنُّطْقِ بِٱلْحَقِّ وَٱخْتَصَّهُ بِذَلِكَ ، لِيَقْرَعَ ٱلآذَانَ ، وَيَشُقَّ ٱلْحُجُبَ ، حَتَّىٰ إِنَّهُ عِنْدَمَا أَذِنَ ٱللهُ لَهُ بِٱلْهِجْرَةِ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ لَمْ يَتَسَلَّلْ لَهَا خِفْيَةً ، بَلْ جَاءَ إِلَىٰ ٱلْكَعْبَةِ وَأَشْرَافُ قُرَيْشٍ بِفِنَائِهَا ، فَطَافَ سَبْعًا ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ أَتَىٰ حَلَقَهُمْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، وَصَاحَ بِعُظَمَائِهَا : شَاهَتِ ٱلوُجُوهُ ؛

وَأَخْبَرَهُمْ بِهِجْرَتِهِ ، وَقَالَ لَهُمْ : مَنْ أَرَادَ أَنْ تَثْكَلَهُ أُمُّهُ ، وَيَيْتَمَ وَلَدُهُ ، وَتَتَرَمَّلَ ٱمْرَأَتُهُ ، فَلْيَلْقَنِي وَرَاءَ هَذَا ٱلْوَادِي ؛ فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى ٱتِّبَاعِهِ .

حَضَرَ ٱلْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ مِنْ بَدْرٍ إِلَىٰ تَبُوكَ (وَهُوَ مِمَّنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ) ، وَكَانَ عَجِيباً فِي فِعْلِهِ وَعَمَلِهِ حَتَّىٰ قَالَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ : « لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ » مُلْهَمُونَ « فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ » [البخاري ، رقم : ٣٦٨٩] .

كَأَنَّ ٱللهَ قَدْ جَعَلَ ٱلْحَقَّ عَلَىٰ لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ يَقُولُ بِهِ ، وَمَا نَزَلَ بِٱلنَّاسِ أَمْرٌ فَقَالُوا فِيهِ وَقَالَ إِلاَّ نَزَلَ ٱلْقُرْآنُ عَلَىٰ نَحْوِ مَا يَقُولُ عُمَرُ ، فَوَقَعَتْ مُوَافَقَاتٌ كَثِيرَةٌ أَوْصَلَهَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ عِشْرِينَ ، وَأَشْهَرُهَا مَسْأَلَةُ قَتْلِ أَسْرَىٰ بَدْرٍ ، وَمَسْأَلَةُ ٱلْحِجَابِ ، وَمَسْأَلَةُ ٱلْخَمْرِ ، وَمَسْأَلَةُ ٱلاسْتِغْفَارِ ، وَمَسْأَلَةُ ٱلصَّلاةِ عَلَىٰ أُبَيٍّ .

هُوَ أَوَّلُ مَنْ سُمِّيَ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ ٱلتَّارِيخَ ٱلْهِجْرِيَّ ، وَأَوَّلُ مَنِ ٱتَّخَذَ بَيْتَ ٱلْمَالِ وَكَانَ إِيرَادُهُ مِنْ زَكَاةِ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَجِزْيَةِ أَهْلِ ٱلذِّمَّةِ ، وَخُمْسِ ٱلْغَنَائِمِ ، وَمَوَارِيثِ مَنْ لَيْسَ لَهُمْ وَارِثٌ مِنْ مَوْتَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ ؛ فَكَانَ مُطَهَّرًا مِنَ ٱلْمَظَالِمِ ، نَقِيًا عَمَّا كَانَتِ ٱلْمُلُوكُ تَأْخُذُهُ مِنْ أُمَمِهَا ظُلْمًا ،

وأَوَّلُ مَنْ دَوَّنَ ٱلدَّوَاوِينَ لِحَصْرِ أَسْمَاءِ ٱلْغُزَاةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ سَنَّ قِيامَ رَمَضَانَ وَأَنَارَ ٱلْمَسَاجِدَ فِي لَيَالِيهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ عَسَّ ٱللَّيْلَ ، وأَوَّلُ مَنْ عَاقَبَ عَلَىٰ ٱلْهِجَاءِ، وَأَوَّلُ مَنْ جَلَدَ فِي ٱلْخَمْرِ ثَمَانِينَ ، وَأَوَّلُ مَنْ حَرَّمَ ٱلْمُتْعَةَ، وَنَهَىٰ عَنْ بَيْعِ أُمَّهَاتِ ٱلأَوْلادِ ، وَجَمَعَ ٱلنَّاسَ فِي صَلاةِ ٱلْجَنَائِزِ عَلَىٰ أَرْبَعِ تَكْبِيرَاتٍ ، وَأَوَّلُ مَنِ ٱتَّخَذَ ٱلدِّيوَانَ ، وَأَوَّلُ مَنْ مَسَحَ ٱلسَّوَادَ ، وأَوَّلُ مَنْ حَمَلَ ٱلْمِيرَةَ مِنْ مِصْرَ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَخَذَ زَكَاةَ ٱلْخَيْلِ ، وَأَوَّلُ مَنِ ٱتَّخَذَ ٱلدِّرَّةَ ، وَأَوَّلُ مَنِ ٱسْتَقْضَىٰ فِي ٱلأَمْصَارِ، وَأَوَّلُ مَنْ مَصَّرَهَا: ٱخْتَطَّ ٱلْكُوفَةَ وَمَصَّرَهَا، وَٱلْبَصْرَةَ، وَٱلْجَزِيرَةَ ، وَٱلشَّامَ ، وَمِصْرَ ، وَٱلْمَوْصِلَ ؛ وَأَوَّلُ مَنِ ٱتَّخَذَ دَارَ ٱلْمُؤَنِ لِيُعِينَ مِنْهَا ٱلْمُنْقَطِعَ، فِيهَا ٱلدَّقِيقُ وَٱلسَّوِيقُ وَٱلتَّمْرُ وَٱلزَّبِيبُ، وَوَضَعَ فِيهَا بَيْنَ مَكَّةَ وَٱلْمَدِينَةِ بِٱلطَّرِيقِ مَا يَصْلُحُ مِن ذَلِكَ .

وَلَهُ مِنَ ٱلْكَرَامَاتِ ٱلْغَرِيبَةِ ، وَمِنْ أَشْهَرِهَا أَيْضًا وَأَعْجَبِهَا صَيْحَتُهُ وَهُوَ عَلَىٰ ٱلْمِنْبَرِ : « يَا سَارِيَةَ ٱلْجَبَلَ »[1] ، وَكِتَابُهُ

---

(١) راجع الجزءَ الأَوَّلَ مِنْ كِتَابِ علمِ ٱلدِّين ، صحيفة : ٣٣٩ .
راجع تخريج الخبر في « تاريخ الخلفاء » صفحة : ١٥٢ ، =

لِنِيلَ مِصْرَ وَإِبْطالُهُ تِلْكَ ٱلْعَادَةِ ٱلسَّيِّئَةِ وَقَطْعُهَا عَنْ أَهْلِ مِصْرَ[١] ، وَدُعَاؤُهُ عَلَىٰ أَهْلِ ٱلْعِرَاقِ وَقَدْ حَصَبُوا أَمِيرَهُمْ : ٱللَّهُمَّ قَدْ لَبَسُوا عَلَيَّ فَأَلْبِسْ عَلَيْهِمْ ، وَعَجِّلْ بِٱلْغُلامِ ٱلثَّقَفِيِّ يَحْكُمُ فِيهِمْ حُكْمَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ : لا يَقْبَلُ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَلا يَتَجَاوَزُ عَنْ مُسِيئِهِمْ . وَٱلْحَجَّاجُ يَوْمَئِذٍ مَا وُلِدَ[٢] .

وَأَكْبَرُهَا دَلالَةً عَلَىٰ فَضْلِهِ وَأَشَدُّها عَلامَةً عَلَىٰ نُبْلِهِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ، مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ ٱلْمُؤَرِّخِينَ إِنَّ عَمْرَو بْنَ ٱلْعَاصِ خَطَرَ بِبَالِهِ حَفْرَ بَرْزَخِ ٱلسُّوَيْسِ لِاتِّصَالِ ٱلْبَحْرِ ٱلأَحْمَرِ بِٱلْبَحْرِ ٱلأَبْيَضِ ، فَٱسْتَأْذَنَ عُمَرَ بْنَ ٱلْخَطَّابِ ، فَمَنَعَهُ لِئَلَّا تَعْبُرَ مِنْهُ الإِفْرَنْجُ (ٱلْبَحْرَ) ، فَيَكْثُرُونَ بِٱلْمَشْرِقِ وَبِلادِ ٱلْمَغْرِبِ .

## أَعْمَالُهُ فِي خِلافَتِهِ

لَمْ يَغِبْ عَنِ ٱلْقَارِىءِ أَنَّا تَرَكْنَا جَيْشَ ٱلْمُسْلِمِينَ بِبَابِلَ[٣]

---

= و« الإصابة » لابن حجر العسقلاني ترجمة : سارية بن زنيم .

(١) راجع تخريج الخبر في « تاريخ الخلفاء » صفحة : ١٥٤ .

(٢) راجع تخريج الخبر في « تاريخ الخلفاء » صفحة : ١٥٥ .

(٣) أي عند الكلام عن أعمال الخليفة الأول لرسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

تَحْتَ قِيَادَةِ بَشِير ٱبنِ ٱلْخَصَاصِيَّةِ ، ٱلَّذِي ٱسْتَخْلَفَهُ ٱلْمُثَنَّىٰ حِينَمَا قَصَدَ ٱلْمَدِينَةِ لِمُلاقَاةِ ٱلصِّدِّيقِ كَمَا ذَكَرْنَا فِي تَرْجَمَتِهِ ، وَقُلْنَا : إِنَّ نَهْرَ ٱلْفُرَاتِ أَصْبَحَ حَدًا لِمَمْلَكَةِ فَارِسَ ؛ وَتَرَكْنَا جَيْشَ ٱلْمُسْلِمِينَ كَذَلِكَ فِي حَرْبِ ٱلرُّومِ بِٱلْيَرْمُوكِ بَعْدَ هَزِيمَةِ ٱلرُّومِ عَنْهَا . وَسَنَأْخُذُ ٱلآنَ فِي سَرْدِ مَا ٱفْتَتَحَتْ جُيُوشُ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي بِلادِ هَاتَيْنِ ٱلْمَمْلَكَتَيْنِ فِي مُدَّةِ هَذَا ٱلْخَلِيفَةِ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .

## أَمْرُ فَارِسَ

نَدَبَ ٱلنَّاسَ مَعَ ٱلْمُثَنَّىٰ ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَسْبَقَهُمْ ٱنْتِدَابًا ، وَكَانَ أَبَا عُبَيْدَ ٱبْنَ مَسْعُودٍ ، وَقَالَ لَهُ وَأَوْصَاهُ وَصِيَةَ رَجُلٍ دَخَلَ بَيْنَ ٱلأُمَمِ وَطَبَائِعِهَا ، فَقَالَ لَهُ : سَتَقْدُمُ عَلَىٰ أَرْضِ ٱلمَكْرِ وَٱلْخَدِيعَةِ ، تَقْدُمُ عَلَىٰ قَوْمٍ تَجَرَّؤُوا عَلَىٰ ٱلشَّرِّ فَعَلِمُوهُ ، وَتَنَاسَوْا ٱلْخَيْرَ فَجَهِلُوهُ ، فَٱنْظُرْ كَيْفَ تَكُونُ ؟ ٱحْفَظْ لِسَانَكَ ، وَلا تَفْشِيَنَّ سِرَّكَ حَتَّىٰ لا تَكُونَ بِمَضِيعَةٍ .

ثُمَّ أَمَرَ ٱلْمُثَنَّىٰ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَىٰ أَنْ يَلْحَقَ ٱلْجَيْشَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَنْفِرَ مِنْ حَسُنَتْ تَوْبَتُهُ مِنَ ٱلْمُرْتَدِّينَ ، فَسَارَ مُسْرِعًا حَتَّىٰ وَصَلَ ٱلْحِيرَةَ فِي عَشْرٍ ، وَكَانَ ٱلْفُرْسُ قَدْ شُغِلُوا عَنْ ٱلْمُسْلِمِينَ

بِبَعْضِ ٱخْتِلافَاتٍ دَاخِلِيَّةٍ عَلَىٰ مَنْ يَلِي مُلْكَهُمْ ، ثُمَّ ٱتَّفَقُوا أَخِيرًا عَلَىٰ وِلايَةِ بُورَانَ بِنْتِ كِسْرَىٰ ، وَأَنْ يَقُومَ بِأَمْرِهَا رُسْتُمُ حَتَّىٰ يَجِدُوا رَجُلًا مِنْ بَيْتِ كِسْرَىٰ يَصْلُحُ لِلْمُلْكِ ، فَٱسْتَعَدَّ رُسْتُمُ لِقِتَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَجَهَّزَ ٱلْجُيُوشَ ، فَأَرْسَلَ جَيْشًا إِلَىٰ ٱلْفُرَاتِ ، وَجَيْشًا إِلَى كَسْكَرَ[١] ، وَآخَرَ لِمُلاقَاةِ ٱلْمُثَنَّىٰ ، وَأَغْرَىٰ ٱلْفَلَّاحِينَ أَنْ يَنْتَقِضُوا عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ ، فَخَرَجَ ٱلْمُثَنَّىٰ مِنَ ٱلْحِيرَةِ إِلَى خَفَّانٍ[٢] ، وَٱنْتَظَرَ أَبَا عُبَيْدٍ حَتَّىٰ وَصَلَ بَعْدَ شَهْرٍ ، فَسَارَ مِنْهَا إِلَىٰ ٱلْفُرْسِ فَهَزَمَهُمْ ، وَلَحِقُوا بِكَسْكَرَ ، فَقَصَدَهَا أَبُو عُبَيْدٍ وَقَدْ كَانَتْ جُيُوشُ ٱلْفُرْسِ تلاحَقَتْ فَٱلْتَقَىٰ بِهِمْ أَبُو عُبَيْدٍ وَهَزَمَهُمْ شَرَّ هَزِيمَةٍ ، وَبَثَّ سَرَايَاهُ وَتَجَمَّعَ بِمَا حَوَالَيْهِ مِنَ ٱلأَنْهَارِ . وَٱعْتَصَمَ بِمَعَاقِلِهِ حَتَّىٰ جَهَّزَ ٱلْفُرْسُ جَيْشًا آخَرَ تَحْتَ قِيَادَةِ بَهْمَن ٱلْمَعْرُوفِ بِذِي ٱلحاجِبِ وَمَعَهُ الرَّايَةُ ٱلْعُظْمَى لِفَارِسَ ، وٱسْمُهَا : دِرَفْش كاويان ،[٣] طُولُهَا اثْنَا

---

(١) كَسْكَرُ : بَلَدٌ عَلَىٰ ٱلشَّاطِىءِ ٱلْغَرْبي لِدَجْلَةَ ، بَيْنَ بَغْدَادَ وَٱلْبَصْرَةِ ، وَعَلَىٰ آثَارِهَا وَاسِطُ .

(٢) خَفَّانُ : مَأْسَدَةٌ قُرْبَ ٱلْكُوفَةِ .

(٣) دِرَفْش كاويان : رَايَةُ فَرِيدُونَ [أو أَفْرِيدُونَ] أَحَدُ سَلاطِينِ ٱلْعَجَمِ ، وَفِيمَا تَقُولُ ٱلنَّاسُ : إِنَّهُ كَانَ حَدَّادًا في عَصْرِ ٱلضَّحَّاكِ =

عَشَرَ ذِرَاعًا في عَرْضِ ثَمَانِيَةِ أَذْرُعٍ مُفَصَّلَةً مِنْ جُلُودٍ ، فَحَدَثَتْ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْفُرْسِ وَقَائِعُ عَلَىٰ ٱلْفُرَاتِ ٱنْتَهَتْ بِهَزِيمَةِ ٱلْفُرْسِ ، وَتَقَدَّمَتِ ٱلْعَرَبُ حَتَّىٰ مَكَّنَهَا ٱللهُ مِنْ سَوَادِ ٱلْعِرَاقِ وَإِجْلاءِ ٱلْفُرْسِ عَنْهَا .

تَضَايَقَتِ ٱلْفُرْسُ مِنِ ٱمْتِدَادِ أَيْدِي ٱلْمُسْلِمِينَ لأَخْذِ ٱلْجِزْيَةِ ، وَٱسْتِعْمَالِ مَا ٱفْتَتَحُوهُ مِنَ ٱلْبِلادِ ، وَزَوَالِ سُلْطَتِهِمْ مِنْ غَرْبِ ٱلْفُرَاتِ ، وضُعْفِ بِلادِ ٱلْجَزِيرَةِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ ٱلطَّوَارِىءِ ٱلَّتِي تَتْبَعُ ٱلْهَزِيمَةَ وَٱلانْكِسَارَ . فَقَامَتْ عَامَّةُ ٱلْفُرْسِ وَخَاصَّتُهُمْ تَتَدَارَكُ هَذَا الاضْمِحْلالَ وَٱلزَّوَالَ ، فَٱجْتَمَعُوا وَرَأَوْا مِنْ آلِ كِسْرَىٰ رَجُلاً ٱسْمُهُ يَزْدَجُرْدُ ، فَتَوَّجُوهُ ، وَنَادُوا بِهِ مَلِكًا عَلَيْهِمْ ، فَجَمَعَ ٱلْقَادَةَ ، وسَيَّرَ ٱلْجُيُوشَ .

بَلَغَ ذَلِكَ سَيِّدَنَا عُمَرَ بْنَ ٱلْخَطَّابِ ، فَجَمَعَ جَيْشًا عَظِيمًا تَحْتَ قِيَادَةِ سَعْدِ ٱبْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ٱلزُّهْرِيِّ ٱلْقُرَشِيِّ ، خَالِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ ؛ وَأَوْصَاهُ بِوَصِيَّةٍ تَنْفُذُ في ٱلْقُلُوبِ قَبْلَ ٱلآذَانِ ،

---

▪ فَلَمْ يَصْبِرْ عَلَىٰ ظُلْمِهِ ، فَجَمَعَ ٱلْجُلُودَ ٱلَّتِي كَانَ يَسْتَعْمِلُهَا في صِنَاعَتِهِ مِئْزَرًا ، وَصَنَعَ مِنْهَا هَذِهِ ٱلرَّايَةَ ، وَثَارَ عَلَىٰ ٱلضَّحَّاكِ فَتَبِعَتْهُ ٱلأَهَالِي . ثُمَّ قَتَلُوا ٱلضَّحَّاكَ وَوَلَّوهُ عَلَيْهِمْ [درفش ، كلمة فارسية ، معناها : اللواء والراية والعلم] .

فَقَالَ لَهُ : يَا سَعْدُ ٱبْنُ أُمِّ سَعْدٍ ! لا يَغُرَّنَكَ مِنَ ٱللهِ أَنْ يُقَالَ : خَالُ رَسُولِ ٱللهِ وَصَاحِبُ رَسُولِ ٱللهِ ، فَإِنَّ ٱللهَ لا يَمْحُو ٱلسَّيِّءَ بِٱلسَّيِّءِ ، وَلَكِنَّهُ يَمْحُو ٱلسَّيِّءَ بِٱلْحَسَنِ ، وَلَيْسَ بَيْنَ ٱللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ نَسَبٌ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ ، فَٱلنَّاسُ فِي دِينِ ٱللهِ سَوَاءٌ ، وَهُمْ عِبَادُهُ يَتَفَاضَلُونَ عِنْدَهُ بِٱلْعَافِيَةِ وَيُدْرِكُونَ مَا عِنْدَهُ بِٱلطَّاعَةِ ، فَٱنْظُرِ ٱلأَمْرَ ٱلَّذِي رَأَيْتَ فِيهِ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ يَلْزَمُهُ فَٱلْزَمْهُ .

فَسَارَ سَعْدُ يَقُودُ هَذَا ٱلْجَيْشَ ٱلشَّدِيدَ ، وَيَسْتَأْنِسُ بِرَأْيِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلسَّدِيدِ ، وَمَعَهُ أَهْلُ ٱلْبَأْسِ وَٱلرَّأْيِ ، وَأَهْلُ ٱلْجِهَادِ وَٱلصَّبْرِ ، وَيَضُمُّ إِلَيْهِ أَقَاصِيهِ وَطَلائِعَهُ ، وَيَجْمَعُ إِلَيْهِ مَكِيدَتَهُ وَقُوَّتَهُ ، وَيَتَأَمَّلُ فِي عَوْرَاتِ عَدُوِّهِ وَمَكَارِهِ مَقَاتِلِهِ ، وَيُرْهِبُ عَدُوَّ ٱللهِ وَعَدُوَّهُ ، حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَىٰ زَرُودٍ ، فَبَلَغَهُ وَفَاةُ ٱلْمُثَنَّىٰ مِنْ جِرَاحِهِ ٱلَّتِي أَصَابَتْهُ ، فَجَمَعَ سَعْدُ جَيْشَ ٱلْمُثَنَّىٰ وَضَمَّ رِجَالَهُ إِلَىٰ رِجَالِهِ ، وَعَبَّىٰ ٱلْجَيْشَ ، وَرَتَّبَ ٱلْمُقَدَّمَةَ وَٱلسَّاقَةَ وَٱلْمَيْمَنَةَ وَٱلْمَيْسَرَةَ ، وَسَارَ حَتَّىٰ نَزَلَ ٱلْقَادِسِيَّةَ[1] ، فَأَقَامَ شَهْرًا لا يَأْتِيهِ عَدُوٌّ . ثُمَّ تَرَاسَلَ مَعَ يَزْدَجُرْدَ مَلِكِ ٱلْفُرْسِ ، وَٱنْتَهَىٰ ٱلْحَالُ عَلَىٰ خُرُوجِ رُسْتُمَ فِي مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ

---

(١) ٱلْقَادِسِيَّةَ : قَرْيَةٌ قُرْبَ ٱلْكُوفَةِ ، يَنْزِلُ بِهَا حَاجُّ ٱلْكُوفَةِ ٱلآنَ .

يَزِيدُونَ لِقِتَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ .

فَلَمَّا عَلِمَ سَعْدُ أَمِيرُ جَيْشِ ٱلْمُسْلِمِينَ خَبَرَ رُسْتُمَ ، أَرْسَلَ عَمْرَو بْنَ مَعْدِي كَرِب ٱلزُّبَيْدِيَّ وَطُلَيْحَةَ بْنَ خُوَيْلِدِ ٱلأَسْدِيَّ يَسْتَكْشِفَانِ خَبَرَ ٱلْجَيْشِ، فَلَمْ يَسِيرَا إِلا قَلِيلاً ، حَتَّى رَأَوْا سَرْحَ ٱلْعَدُوِّ مُنْتَشِرًا عَلَىٰ الطُّفُوفِ[1]، فَرَجَعَ عَمْرُو وَظَلَّ طُلَيْحَةُ سَائِرًا حَتَّىٰ دَخَلَ جَيْشَ ٱلْفُرْسِ، وَعَلِمَ حَقِيقَةَ مَا فِيهِ ، وَرَجَعَ .

تَلاقَىٰ ٱلْجَيْشَانِ ، وَوَقَعَتْ وَقْعَةُ ٱلْقَادِسِيَّةِ ٱلَّتِي ٱسْتَمَرَّتْ أَيَّامًا وَلَيَالِي ، وَلَمْ يَكُنْ أَشَدَّ عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنَ ٱلْفِيَلَةِ لِنَفَارِ خَيْلِ ٱلْعَرَبِ مِنْهَا ، وَأَشَدُّهَا لَيْلَةُ الهَرِيرِ[2] ٱلَّتِي حَارَبَتْ فِيهَا ٱلْعَرَبُ وَٱلْفُرْسُ مِنْ أَذَانِ ٱلعِشَاءِ حَتَّىٰ قَامَ قَائِمُ ٱلظَّهِيرَةِ وَتَرَكَ ٱلْمُسْلِمُونَ فِيهَا ٱلْكَلامَ ، فَلا تَسْمَعُ إِلَّا صَوْتَ ٱلْحَدِيدِ ؛ كَأَنَّمَا سَاحَةَ ٱلْقِتَالِ سُوقُ ٱلْقُيُونِ [3]؛ وَٱنْتَهَىٰ ٱلأَمْرُ بِهَزِيمَةِ ٱلْفُرْسِ ٱلَّتِي لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا . وَأُخِذَتْ تِلْكَ ٱلرَّايَةُ ٱلْعُظْمَى ، وَقُتِلَ

---

(١) [أَيْ : شَوَاطِىءُ ٱلنَّهْرِ ، نهر الفرات] .

(٢) [وهِيَ ٱللَّيْلَةُ ٱلثَّالِثَةُ مِنَ ٱلْمَعْرَكَةِ ، وَسُمِّيَتْ لَيْلَةُ ٱلْهَرِيرِ لِتَرْكِهِمُ ٱلكَلامَ ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَهِرُّونَ هَرِيرًا] .

(٣) [ٱلقُيُونُ ، جَمْعُ قَيْنٍ ، وَهُوَ : الحَدَّادُ ؛ أَيْ : أَصْبَحَتْ سَاحَةُ ٱلْقِتَالِ كَسُوقِ ٱلحَدَّادِينَ] .

فِيهَا رُسْتُمُ مَعَ ٱلْكَثِيرِ مِنْ مَشَاهِيرِ ٱلْفُرْسِ وَقُوَّادِهِمْ ، وَبَادَ عَسْكَرُهُمْ قَتلًا وَغَرْقًا ، وَأَصْبَحَ أَمْرُ فَارِسَ بَعْدَ مَا لاقَتْهُ مِنَ ٱلْعَرَبِ فَشَلًا لَمْ تُغْنِ عَنْهَا ٱلرِّجَالُ ، وَلا ٱلأَفْيَالُ ، وَلا ٱلأَقْيَالُ .

مَكَثَ سَعْدٌ رَيْثَمَا ٱسْتَرَاحَ جَيْشُهُ ، ثُمَّ قَامَ عَازِمًا عَلَىٰ فَتْحِ ٱلْمَدَائِنِ ، فَسَارَ يَفْتَحُ ٱلبِلادَ ٱلَّتِي في طَرِيقِهِ ، فَفَتَحَ ٱلْبُرْسَ ، وَبَابِلَ وَٱللهُ يَنْصُرُهُمْ بِٱلرُّعْبِ ، وَٱلْفُرْسُ مَدْحُورُونَ لِانْهِزَامِهِمْ في وَاقِعَةِ ٱلْقَادِسِيَّةِ في أَسْرَعِ مِنْ لَفَّةِ ٱلرِّدَاءِ ، وَنَاهِيكَ بِقِتَالٍ مَنْ مُلِيءَ رُعْبًا ، فَهَرَبَتْ قُوَّادُهُمْ : قَصَدَ أَحَدُهُمْ نَهَاوَنْدَ ، وَٱلثَّانِي ٱلأَهْوَازَ ، وَبَقِيَّةُ ٱلْمَهْزُومِينَ قَصَدُوا ٱلْمَدَائِنَ ؛ فَتَتَبَّعَتْهُمُ ٱلْعَرَبُ تُشَرِّدُهُمْ وَتُشَتِّتُهُمْ ، وَيَفْتَحُونَ مَا يُلاقُونَهُ ، فَفَتَحُوا كُوثَىٰ ، وَ سَابَاطَ ، وَصَالَحُوا أَمِيرَهَا عَلَىٰ ٱلْجِزْيَةِ ، ثُمَّ سَارَ ٱلْجَيْشُ قَاصِدًا ٱلْمَدِينَةَ ٱلْغَرْبِيَّةَ ، فَرَأَىٰ ٱلْمُسْلِمُونَ إِيوَانَ كِسْرَىٰ يَلُوحُ أَمَامَهُمْ أَبْيَضَ نَاصِعًا ، فَتَذَكَّرُوا وَعْدَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ عَلَىٰ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ [رقم : ١٨٢٢] ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ قَالَ : « عُصَيْبَةٌ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ يَفْتَتِحُونَ ٱلْبَيْتَ ٱلأَبْيَضَ ، بَيْتَ كِسْرى ، أَوْ آلِ كِسْرَى » ، فَقَوِيَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَعَظُمَتْ هِمَّتُهُمْ ، وَٱزْدَادَ إِقْبَالُهُمْ ، وَٱشْتَاقَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَكُونُوا

تِلْكَ ٱلْعُصَيْبَةَ ٱلْمَعْنِيَّةَ بِٱلذِّكْرِ فِي حَدِيثِهِ ﷺ ؛ فَنَادَىٰ ضِرَارُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ : اللهُ أَكْبَرُ ، هَذَا أَبْيَضُ كِسْرَىٰ ، هَذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَنُ وَصَدَقَ رَسُولُهُ ؛ وَكَبَّرَ ٱلْمُسْلِمُونَ ، وَحَاصَرُوا ٱلْمَدِينَةِ ، وَفُتِحَتِ ٱلْقُرَىٰ ٱلْمُجَاوِرَةُ ، وَقَدْ جَمَعَتِ ٱلْفُرْسُ ٱلْمَعَابِرَ إِلاّ مَعْبَرَةً وَاحِدَةً أَوْ مَخَاضَةً تَصْلُحُ لِلْعُبُورِ دَلَّ ٱلْمُسْلِمِينَ عَلَيْهَاأَحَدُهُمْ ، فَعَزَمَ سَعْدُ عَلَىٰ قَطْعِهَا ، فَأَمَرَ ، فَعَبَرَتْ جَمَاعَةٌ ، مِنْهُمْ (عدى) لِيَحْمِيَ ٱلفِرَاضَ حَتَّىٰ يَعْبُرَ ٱلْمُسْلِمُونَ ، ثُمَّ أَمَرَ ٱلْمُسْلِمِينَ فَعَبَرُوا ، فَلَمْ يَلْتَفِتِ ٱلْفُرْسُ إِلاَّ وَٱلْفِرَاضُ مَحْمِيَّةٌ ، وَٱلْمُسْلِمُونَ يَعْبُرُونَ ، وَقَدْ سَقَطَتِ ٱلفُرْسُ فِي أَيْدِيهِمْ ، فَهَرَبَ يَزْدَجُرْدُ إِلَىٰ حُلْوَانَ[1] ، وَدَخَلَ ٱلْمُسْلِمُونَ ٱلْمَدِينَةَ مِنْ غَيْرِ مُعَارِضٍ ، وَنَزَلَ سَعْدُ ٱلْقَصْرَ ٱلأَبْيَضَ ، وَٱتَّخَذَ مُصَلًّىٰ ، وَصَلَّىٰ وَقَرَأَ فِي صَلاتِهِ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ : ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [٤٤ سورة الدخان/ الآيات : ٢٥ ـ ٢٨] ، وَأَرْسَلُوا ٱلْبَشَائِرَ وَٱلْغَنَائِمَ لأَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، فَلَمَّا رَأَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ذَخَائِرَ كِسْرَىٰ قَالَ : إِنَّ قَوْما أَدُّوا هَذَا لَذُو أَمَانَةٍ ؛ فَقَالَ لَهُ

---

(١) حُلْوَانُ : بَلْدَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَغْدَادَ أَرْبَعَةُ مَرَاحِلَ ، وَهِيَ تَنْتَهِي بِٱلعِرَاقِ شَرْقًا .

عَلِيٌّ : إِنَّكَ عَفَفْتَ ، فَعَفَّتِ الرَّعِيَّةُ . [« كنز العمال » ، رقم ٣٥٨٢٢ ؛ « تاريخ الطبري » ٢/ ٤٦٦ ؛ « الكامل » لابن الأثير ٢/ ٣٦٢ ] .

ثُمَّ فُتِحَتْ جَلُولاَءَ ، وَتَرَكَ يَزْدَجُرْدُ حُلْوَانَ هَرَبًا ، وَسَارَ إِلَىٰ الرَّيِّ ، وَفُتِحَتْ تِيكرِيْتُ ، وَنِينَوَىٰ ، وَٱلْمَوْصِلُ ، وَمَاسَبَذَانُ ، وَهِيتُ .

ثُمَّ مَكَثَتِ ٱلْمَدَائِنُ قَاعِدَةَ أَعْمَالِ ٱلْعِرَاقِ زَمَنًا حَتَّىٰ رَأَىٰ سَيِّدُنَا عُمَرُ في وُجُوهِ ٱلْعَرَبِ تَغَيُّرًا ، وَفِي أَبْدَانِهِمْ ضَعْفًا ، فَأَمَرَ سَعْدًا أَنْ يَرْتَادَ مَنْزِلاً ، فَاخْتَارَ ٱلْكُوفَةَ[1] بَعْدَ ٱخْتِيَارٍ ، وَٱخْتُطَّتْ وَبُنِيَتْ دُورُهَا بِٱللَّبِنِ ، وَجَعَلَ ٱلنَّهْجَ ٱلشَّارِعَ ٱلأَعْظَمَ ٤٠ ذِرَاعًا ، وَمَا يَلِيهِ ٣٠ ذِرَاعًا ، وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ٢٠ ذِرَاعًا ، وَٱلأَزِقَّةَ ٧ أَذْرُعٍ . وَأَسَّسَ مَسْجِدَهَا ، وَصَارَتْ قَاعِدَةُ أَعْمَالِ ٱلْعِرَاقِ ، وَتَتْبَعُ لَهَا مِنْ أَعْمَالِ ٱلْفُرْسِ ٱلْبَابُ ، وَأَذَرْبَيجَانُ ، وَهَمَذَانُ ، وَٱلرَّيُّ ، وَأَصْبَهَانُ ، وَمَاهُ ، وَٱلْمَوْصِلُ ، وَقَرْقِيسِيَاءُ ؛ وَكُلُّهَا فِي ٱلْجِهَةِ ٱلشَّمَالِيَةِ .

ثُمَّ فُتِحَتْ تُسْتَرُ ، فَتَحَهَا جَيْشُ ٱلْبَصْرَةِ ، ثُمَّ ٱلسُّوسُ ، وَوَاقِعَةُ نَهَاوَنْدَ ، وَتَمَّ ٱلانْسِيَاحُ في بِلادِ ٱلْعَجَمِ لِضُعْفِ شَوْكَةِ

---

(١) وَمَعْنَاهَا : ٱلرَّمْلَة ٱلْحَمْرَاءُ ٱلْمُسْتَدِيرَةُ ، أَوْ ٱلَّتِي يُخَالِطُهَا حَصْبَاءُ .

ٱلْفُرْسِ ، فَأَصْبَحَ سَيِّدُنَا عُمَرُ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ لا يَخَافُ عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ شَيْئًا مِنْ تَوَغُّلِهِمْ في ٱلْبِلادِ ، فَعَقَدَ ٱلأَلْوِيَةَ ، وَسَارَتِ ٱلْجُيُوشُ حَتَّىٰ فَتَحُوا تَبْرِيزَ ، وَٱلْبَابَ وَهُوَ ٱلْفَاصِلُ بَيْنَ ٱلْفُرْسِ وَأَرْمِينِيَّةَ ، وَدَوْلَةِ ٱلرُّوسِيَةَ ، وَسَارَ ٱلأَحْنَفُ إِلَىٰ خُرَاسَانَ لِيُلاقِيَ يَزْدَجُرْدَ ٱلَّذِي أَقَامَ بِمَرْوَ يُثِيرُ ٱلْفُرْسَ عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ ، فَبَلَغَ هَرَاةَ مِنْ بِلادِ ٱلأَفْغَانِ فَافْتَتَحَهَا ، وَسَارَ نَحْوَ مَرْو ٱلشَّاهُ جَانَ ، وَكَتَبَ إِلَىٰ خَاقَانَ مَلِكِ ٱلتُّرْكِ وَإِلَىٰ مَلِكِ ٱلصُّغْدِ ، وَمَلِكِ ٱلصِّينِ ؛ يَسْتَمِدُّهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَاهُ شَيْئًا ؛ ثُمَّ ٱفْتَتَحُوا : كَرْمَانَ ، وَسِجِسْتَانَ ، وَمَكْرَانَ ، وَٱنْتَهُوا إِلَىٰ دُوَيْنِ ٱلنَّهْرِ إِلَىٰ ٱلْحُدُودِ بَيْنَ ٱلْفُرْسِ وَٱلسِّنْدِ .

إِلَىٰ هُنَا ٱنْتَهَىٰ مَا فَعَلَهُ ٱلْمُسْلِمُونَ بِٱلْبِلادِ ٱلْفَارِسِيَّةِ ، جِئْنَا مِنْهُ بِنُتَفٍ مُخْتَصَرَةٍ تَدُلُّكَ عَلَىٰ غَايَتِهِ مُفَصَّلاً .

لا شَكَّ أَنَّ ٱلإِشْرَاقَ ٱلنَّبَوِيَّ كَانَ مُلازِمًا لِهَؤُلاءِ ٱلْفَاتِحِينَ ، وَٱلْمَدَدَ ٱلْمُحَمَّدِيَّ يَمُدُّهُمْ ، وَإِلاَّ فَكَيْفَ تَبْتَدِىءُ هَذِهِ ٱلْحُرُوبُ سَنَةَ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ مِنَ ٱلْهِجْرَةِ بِفَتْحِ أَوَّلِ بَلَدٍ مِنْ بِلادِهِمْ وَهِيَ ٱلأُبُلَّةُ مِنْ حُدُودِ بِلادِ ٱلْعَرَبِ غَرْباً وَتَنْتَهِي إِلَىٰ مَا وَرَاءَ ٱلنَّهْرِ وَبِلادِ ٱلسِّنْدِ شَرْقًا ، وَٱلْخَلِيجِ ٱلْفَارِسِيِّ جَنُوبًا ، وَبَحْرِ ٱلْخَزَرِ وَأَرْمِينِيَّةَ وَٱلرُّوسِ شَمَالاً فِي هَذِهِ ٱلْمُدَّةِ ٱلَّتِي

لا تَكْفِي مُرْتَادًا يُرِيدُ أَنْ يَتَعَرَّفَ طَبِيعَةَ هَذِهِ ٱلبِلادِ لِشِدَّةِ جَسَامَتِهَا .

جَاءَ ٱلْهُرْمُزَانُ ٱلْمَدِينَةَ ، وَلاقَى سَيِّدَنَا عُمَرَ بْنَ ٱلْخَطَّابِ ، وَقَالَ لَهُ فِيمَا قَالَ : يَا عُمَرُ ! كُنَّا وَإِيَّاكُمْ في ٱلْجَاهِلِيَّةِ كَأَنَّ ٱللهَ قَدْ خَلَّىٰ بَيْنَنَا فَغَلَبْنَاكُمْ ، فَلَمَّا كَانَ ٱللهُ مَعَكُمْ غَلَبْتُمُونَا ؛ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : إِنَّمَا غَلَبْتُمُونَا في ٱلجَاهِلِيَّةِ بِاجْتِمَاعِكُمْ وَتَفَرُّقِنَا . [« البداية والنهاية » ، أحداث سنة سبع عشرة] لَمْ يُنْكِرْ سَيِّدُنَا عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ غَلَبَتَهُمْ لِلْعَرَبِ ، وَلَمْ يُنْكِر ٱلسَّبَبَ . فَٱنْظُرْ لِهَذَا ٱلائْتِلافِ ، وَٱلاتِّحَادِ فِي ٱلْقُلُوبِ كَيْفَ جَعَلَهَا قَلْبًا وَاحِدًا تَتَحَرَّى بِرَأْيٍ وَاحِدٍ وَإِنْ كَانَتْ في أَجْسَادٍ مُخْتَلِفَةٍ ؟

عَمَّ ٱلدِّينُ ٱلإِسْلامِيُّ فَجَمَعَ ٱلْحَائِدِينَ لِلصِّرَاطِ ٱلسَّوِيِّ وَٱلْمَنْهَجِ ٱلْقَوِيمِ ، وَأَخْرَجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَىٰ ٱلنُّورِ وَمِنْ جَوْرِ ٱلْمُلُوكِ إِلَىٰ عَدْلِ ٱلإِسْلامِ .

ٱجْتَمَعَ ٱلْفُرْسُ وَٱلْعَرَبُ فِي وَقَائِعَ كَثِيرَةٍ مَشْهُورَةٍ ، وَلَمْ يَنْكَسِرْ لِقُوَّادِهِمْ رَايَةٌ ، وَلَمْ يُفَلَّ لَهُمْ جَيْشٌ ، وَلَمْ يَرَ ٱلْمُسْلِمُونَ فِي وَاقِعَةٍ مِنَ ٱلْوَقَائِعَ مُسَاوِينَ لأَقْرَانِهِمْ فِي ٱلْعَدَدِ وَٱلْعُدَدِ ، بَلْ كَانَتِ ٱلْفُرْسُ في كُلِّ وَاقِعَةٍ أَضْعَافَ ٱلْعَرَبِ . فَمَا هَذَا ٱلْحَالُ ٱلْعَجِيبُ وَٱلنَّصْرُ ٱلْغَرِيبُ ٱلَّذِي لَوْ أُضِيفَ إِلَيْهِ مَا هُوَ مُحَقَّقٌ

بِٱلْيَقِينِ فِي ٱلْفُرْسِ مِنَ ٱلْمَهَارَةِ فِي تَعْبِيَةِ ٱلْجُيُوشِ ، وَإِحْكَامِ مُعَدَّاتِ ٱلدِّفَاعِ ، وَوَفْرَةِ ٱلأَمْوَالِ ، وَٱلْعِلْمِ بِطُرُقِ ٱلدَّسَائِسِ وَٱلْخِدَاعِ لَعُدَّتْ مَغْلُوبِيَّتُهُمْ نَادِرَةً ، وَغَلَبَةُ ٱلْعَرَبِ مُعْجِزَةً ؟ ٱنْظُرْ لِنُورِ الإِيمَانِ ٱلَّذِي سَطَعَ فَأَزَالَ كُلَّ مَا يَلْحَقُ ٱلنُّفُوسَ مِنَ ٱلْجُبْنِ ، وَٱلذُّلِّ ، وَٱلْخَوْفِ ، وَصَرْفِ ٱلأَيْدِي عَنِ ٱلنَّهْبِ وَٱلْغَارَةِ . وَٱنْظُرْ لِلْقُوَّادِ ٱلَّذِينَ لاَ يَخْشَونَ تَهْدِيدًا وَلا وَعِيدًا ، وَلَمْ يَسْلُكُوا بِٱلأُمَّةِ مَسْلَكَ ٱلأَهْوَاءِ ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا دُخَلاءَ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ . كَانُوا مُتَفَانِينَ فِي حُبِّ ٱلدِّينِ ، لَيْسَ لَهُمْ شَأْنٌ إِلاَّ ٱلأَمْرُ بِٱلْمَعْرُوفِ ، وَٱلنَّهْيُ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ، وَتَرْكُ ٱلزَّهْوِ وَٱلْكِبْرِيَاءِ وَحُبِّ ٱلدُّنْيَا .

هَذِهِ يَدٌ بَيْضَاءَ فَعَلَتْ فِي ٱلْفُرْسِ مَا تَبَيَّنَ لَكَ أَمْرُهُ ، فَٱنْظُرْ لأُخْتِهَا كَيْفَ كَانَ أَثَرُهَا أَيْضًا مَعَ دَوْلَةِ ٱلرُّومِ ؟

قُلْنَا فِي أَوَّلِ ٱلْكَلاَمِ : إِنَّنَا تَرَكْنَا ٱلْمُسْلِمِينَ في حَرْبِ جَيْشِ ٱلرُّومِ بِٱلْيَرْمُوكِ بَعْدَ مَوْقِعَتِهَا ٱلْهَائِلَةِ وَهَزِيمَةِ ٱلرُّومِ عَنْهَا ، وَأَمِيرُ ٱلْجُنْدِ أَمِينُ ٱلأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ ٱبْنُ ٱلْجَرَّاحِ .

بَلَغَهُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنَّ مَدَدًا أَتَىٰ دِمَشْقَ ، فَحَصَرَهَا ٱلْمُسْلِمُونَ : أَبُو عُبَيْدَةَ مِنْ جِهَةٍ ، وَخَالِدُ بْنُ ٱلْوَلِيدِ مِنْ أُخْرَىٰ . وَدَامَ ٱلْحِصَارُ سَبْعِينَ لَيْلَةً حَتَّىٰ فُتِحَتْ ، وَفُتِحَ بَعْدَهَا

حِمْصُ ، وَحَمَاةُ ، وَٱلْمَعَرَّةُ ، وَٱللَّاذِقِيَّةُ ، وَحَلَبُ ، وَقِنَّسْرِينُ ، حَتَّىٰ وَصَلُوا إِلَىٰ قُرْبِ أَنْطَاكِيَّةَ .

ثُمَّ بَدَا لِسَيِّدِنَا عُمرَ أَنْ يَطُوفَ عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ في بُلْدَانِهِمْ لِيَنْظُرَ آثَارَهُمْ ، فَسَارَ عَنِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَعَهُ غُلامٌ وَبَعِيرٌ ، وَٱسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا سَيِّدَنَا عَلِيَّ ٱبْنَ أَبِي طَالِبٍ . وَقَدِمَ ٱلشَّامَ فَسَدَّ فُرُوجَهَا ، وَرَتَّبَ صَوَائِفَهَا وَشَوَاتِيهَا[1] ، وَٱسْتَعْمَلَ سَيِّدَنَا مُعَاوِيَةَ عَلَىٰ دِمَشْقَ ، وَعَزَلَ شُرَحْبِيلَ عَنِ ٱلأُرْدُنِّ وَقَالَ : مَا عَزَلْتُهُ عَنْ خِيَانَةٍ ، وَلا جَوْرٍ ، وَلَكِنْ أُرِيدُ رَجُلًا أَقْوَىٰ مِنْ رَجُلٍ .

ثُمَّ قِيلَ لَهُ : لَوْ أَمَرْتَ بِلالاً فَأَذَّنَ ؛ فَأَمَرَهُ فَأَذَّنَ ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ أَدْرَكَ ٱلنَّبِيَّ ﷺ إِلاَّ بَكَىٰ ، حَتَّىٰ بَلَّ لِحْيَتَهُ ، وَعُمَرُ أَشَدُّ ٱلنَّاسِ بُكَاءً .

ثُمَّ ٱسْتَأْذَنَهُ عَمْرُو بْنُ ٱلْعَاصِ فِي فَتْحِ مِصْرَ ، وَذَكَرَ لَهُ خَبَرَهَا ، وَأَنَّهَا قُوَّةٌ عَظِيمَةٌ لِمَمْلَكَةِ ٱلرُّومِ ، وَكَانَ عَلَيْهَا وَالٍ مِنْ قِبَلِهَا يُقِيمُ بِٱلإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، فَسَيَّرَهُ ، فَقَامَ لَهَا بِجَيْشٍ كَثِيفٍ ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ ٱلزُّبَيْرَ بْنَ ٱلْعَوَّامِ ، وَفُتِحَتْ ، وَعَاقَدَ أَهْلَهَا عَلَىٰ ٱلأَمَانِ ؛ وَنَزَلَ ٱلْمُسْلِمُونَ ٱلْفُسْطَاطَ ، وَٱخْتَطُّوا حَوْلَهُ ، وَأَسَّسَ عَمْرُو

---

(١) ٱلصَّوَائِفُ وَٱلشَّوَاتِي : هِيَ ٱلسَّرِيَّاتُ ٱلَّتِي تُحَارِبُ صَيْفًا وَشِتَاءً .

مَدِينَتَهُ ، وَشَيَّدَ مَسْجِدَهُ ؛ ثُمَّ سَارَ إِلَىٰ ٱلإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَٱجْتَمَعَ لَهُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ٱلْفُسْطَاطِ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلرُّومِ وَٱلْقِبْطِ فَأَثْخَنَهُمْ ؛ ثُمَّ وَصَلَ إِلَىٰ ٱلإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَطَلَبَ مِنْ أَهْلِهَا ٱلنُّزُولَ عَلَىٰ صُلْحِ مِصْرَ فَلَمْ يَقْبَلُوا ، فَفَتَحَهَا عُنْوَةً ، وَغَنِمَ مَا فِيهَا ، وَجَعَلَهُمْ ذِمَّةً ، وَٱرْتَحَلَ ٱلرُّومُ إِلَىٰ ٱلْقِسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَأَقَامَ ٱلْمُقَوقِسُ وَٱلْقِبْطُ عَلَىٰ ٱلصُّلْحِ ٱلَّذِي عَقَدَهُ لَهُمْ عَمْرُو ، وَأَبْقَىٰ ٱلْمُقَوْقِسَ عَلَىٰ رِئَاسَةِ قَوْمِهِ ، وَكَانَ ٱلْمُسْلِمُونَ يَشَاوِرُنَهُ فِيمَا يَنْزِلُ مِنَ ٱلْمُهِمَّاتِ إِلَىٰ أَنْ تُوُفِّيَ ، وَكَانَ يُقِيمُ بَعْضَ ٱلأَوْقَاتِ بِإِسْكَنْدَرِيَّةَ ، وَفي بَعْضِ ٱلأَوْقَاتِ بِمَنْفَ بِمِصْرِ .

وَبِفَتْحِ مِصْرَ ٱنْتَهَىٰ مَا فَعَلَهُ ٱلْمُسْلِمُونَ أَيْضًا مَعَ ٱلرُّومِ في مُدَّةِ سَيِّدِنَا عُمَرَ .

أَخَذُوا وَلايَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ : ٱلشَّامَ ، وَمِصْرَ ، وَجُزءًا مِنَ ٱلأَنَاضُولِ . وَبِٱلإِجْمَالِ أَضْعَفُوا شَوْكَتَهُمْ ، وَأَزَالُوا مُلْكَهُمْ ، وَأَذَلُّوا دَوْلَتَهُمْ .

ٱنْظُرْ لِهَذِهِ ٱلْفُتُوحَاتِ ٱلَّتِي أَطَاشَ أَمْرُهَا ٱلأَحْلامَ ، وَحَيَّرَ ٱلأَفْكَارَ وَٱلأَفْهَامَ ؛ وَتَأَمَّلْ لِمَنْصِبِ ٱلْخِلافَةِ ٱلْحَقِيقِيَّةِ فِي تِلْكَ ٱلأَيَّامِ ، وَمَا يَحِفُّ جَمَاعَةَ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ حُرِّيَّةٍ في دِينٍ ، وَعِلْمٍ فِي يَقِينٍ ، وَسَعَةٍ في ٱلْوَسَائِلِ ٱلْمَدَنِيَّةِ ٱلْحَقَّةِ ، وَٱلأُمَّةُ

قَرِيرَةُ ٱلْعَيْنِ بِمَا تَغْنَمُهُ مِنْ نَهْضَاتِ ٱلْهِمَمِ بِٱلْفَتْحِ وَٱلإِصْلاحِ ، وَٱلأُمُورُ مُسْتَقِيمَةٌ عَلَىٰ مِثْلِ مَا دَعَا إِلَيْهِ ٱلإِسْلامُ ، وَنُورُهُ سَاطِعٌ عَلَىٰ ٱلدِّيَارِ ٱلَّتِي بَلَغَهَا أَهْلُهُ ، وَٱلْقُلُوبُ تَفِيضُ غِيرَةً مِنْهُ ، وَٱلأَلْسِنَةُ تَتَدَفَّقُ بِهِ ، وَكَأَنَّمَا ٱلْمُسْلِمُونَ رَبِيعٌ يُسَاقُونَ إِلَىٰ جَدْبٍ ، فَلَمْ يَنْزِلُوا أَرْضًا حَتَّىٰ يُحْيِيَ ٱللهُ مَوَاتَهَا بِهِمْ ، وَيَنْقَعُ غُلَّتَهَا بِبَرَكَتِهِمْ .

ٱنْظُرْ لِمَقَامِ ٱلْخِلاَفَةِ ، مَقَامِ ٱلنِّيَابَةِ عَنْ رَسُولِ ٱللهِ ، تَرَاهُ مَشْغُولاً بِحِرَاسَةِ ٱلدِّينِ وَسِيَاسَةِ ٱلدُّنْيَا ، مُسْتَمِدًّا لأَفْعَالِهِ وَأَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ مِنْ كِتَابِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ٱلَّذِي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [٤١ سورة فصلت/ الآية : ٤٢] . وَٱلأُمَّةُ بِاذِلَةٌ لَهُ ٱلطَّاعَةَ فِي سِرِّهَا وَجَهْرِهَا ، وَهُوَ لاَ يَعْتَقِدُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ أَرْقَىٰ دَرَجَةً مِنْهَا . يَقُولُ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ : قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ؛ [« السيرة النبوية » لابن هشام ، ٦/ ٨٣ أمر سقيفة بن ساعدة ، خطبة أبي بكر بعد البيعة] وَٱلْفَارُوقُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ يَقُولُ : مَنْ رَأَىٰ فِيَّ أَعْوِجَاجًا فَلْيُقَوِّمْهُ . وَحَالُهُ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي مَالِهِمْ وَجِبَايَتِهِمْ وَخَرَاجِهِمْ كَوَصِيِّ ٱلْيَتِيمِ إِنِ ٱسْتَغْنَىٰ ٱسْتَعْفَفَ ، وَإِنِ ٱفْتَقَرَ أَكَلَ بِٱلْمَعْرُوفِ . وَشَغْلُهُ بَعْدَ هَذَا ٱلنَّظَرُ فِي طَلَبَاتِ ٱلرَّعِيَّةِ وَتَفَقُّدُ أَحْوَالِ ٱلْبَائِسِينَ مِنَ ٱلأُمَّةِ ، حَتَّىٰ لاَ يَكُونَ لإِحَدٍ عَلَيْهِ

حُجَّةٌ يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونٌ ، فَتَرَاهُ يَحْمِلُ ٱلدَّقِيقَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ لِيُوصِلَهُ إِلَىٰ ٱلْفُقَرَاءِ وَٱلْمَسَاكِينَ ، أَوْ يُدْرِكُ بِٱلطَّعَامِ صِبْيَةً يَتَضَاغَوْنَ وَأُمُّهُمْ تُلْهِفُهُمْ حَتَّىٰ يَنَامُوا ، وَهُوَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ « غَلْقُ ٱلْفِتْنَةِ » [راجع « مجمع الزوائد » ، رقم : ١٤٤٥١] كَمَا قَالَ ﷺ : « لاَ يَزَالُ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ ٱلْفِتْنَةِ بَابٌ شَدِيدُ ٱلْغَلْقِ مَا عَاشَ هَذَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ » .

وَأَرْكَانُ ٱلدِّينِ قَائِمَةٌ : ٱلصَّلاةُ ٱلصَّلاةُ . . إِمَامَةُ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي ٱلصَّلاةِ رَاجِعَةٌ إِلَىٰ أَرْفَعِ وَظَائِفِهِ . وَٱلزَّكَاةُ ٱلْقَاطِعَةُ لِكُلِّ ٱحْتِيَالٍ بَيْنَ أَفْرَادِ ٱلأُمَّةِ ، فَلا سَلْبَ وَلا سَرِقَةَ وَلا ضَغِينَةَ تُولِدُهَا عَدَاوَةٌ . وَٱلْحَجُّ مِنْ بِقَاعِ ٱلأَرْضِ يُجَدِّدُونَ بِهِ لِلأَمِيرِ عَهْدَهُمْ ، وَيُشْهِرُونَ طَاعَتَهُمْ ، وَٱلصَّوْمُ ٱلَّذِي بِهِ تَتَهَذَّبُ ٱلنُّفُوسُ وَتَذُوقُ بِهِ ٱلأَغْنِيَاءُ مَرَارَةَ ٱلْفَقْرِ فَتَرْحَمُ ٱلْفُقَرَاءَ . وَٱلْحُدُودُ قَائِمَةٌ لاَ يَخْتَلُّ نِظَامُهَا أَبَدًا ، وَٱلْجِهَادُ عَلَىٰ مَا عَلِمْتَ مِنْ أَخْبَارِ هَذَا ٱلْفُتُوحِ .

ٱنْظُرْ لِمَوَاضِعِ ٱلشُّبَهِ وَٱلنَّزَعَاتِ ٱلْفِكْرِيَّةِ تَجِدْهَا وَاقِفَةً عِنْدَ حَدِّ ٱلاعْتِقَادِ ، وٱلْفِقْهُ عِبَارَةٌ عَنِ عِلْمِ طَرِيقِ ٱلآخِرَةِ وَمَعْرِفَةِ دَقَائِقِ آفَاتِ ٱلنُّفُوسِ وَمُفْسِدَاتِ ٱلأَعْمَالِ وَقُوَّةِ ٱلإِحَاطَةِ بِحَقَارَةِ ٱلدُّنْيَا وَشِدَّةِ ٱلتَّطَلُّعِ إِلَىٰ نَعِيمِ ٱلآخِرَةِ وَٱسْتِيلاءِ ٱلْخَوْفِ عَلَىٰ

ٱلْقَلْبِ « لِيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [٩ سورة التوبة/ الآية : ١٢٢] . وَٱلتَّوْحِيدُ عِبَارَةٌ عَنْ أَنْ يَرَىٰ ٱلْمُوَحِّدُ ٱلأُمُورَ كُلَّهَا مِنَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ رُؤْيَةً تَقْطَعُ ٱلْتِفَاتَهُ عَنِ ٱلأَسْبَابِ وَٱلْوَسَائِطِ وَهَكَذَا ، وَٱلنَّاسُ في شُغُلٍ شَاغِلٍ بِنُصْرَةَ دِينِ ٱللهِ وَٱلاجْتِهَادِ في تَعْمِيمِ أَمْرِهِ عَنِ ٱلْمُشَاحَنَةِ فِيهِ .

مَاذَا يَعُدُّهُ ٱلدَّهْرُ ٱلخَؤُونُ مِنَ ٱلْبَلايَا وَٱلْمَصَائِبِ يَنْزِلُ بِهَا عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ وَهُمْ فِي أَهْنَإِ أَوْقَاتِ حَيَاتِهِمْ وَزِيَادَةِ عِزِّهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ ؟ وَبِمَاذَا تُخْرِجُ ٱلأَيَّامُ وَقَدْ ظَفِرُوا بِكُلِّ مَا ٱشْتَهَوْا ، وَنَالُوا جَمِيعَ مَا ٱبْتَغَوْا ، فَتَحْرِمُهُمْ لَذَّةَ مَا ذَاقُوا ، وَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ مَا يَتَذَوَّقُوا ؟ أَيُّ مُصِيبَةٍ تُعِدُّهَا ٱللَّيَالِي إِفْسَادًا لِحِفَاظِ هَذَا ٱلنِّظَامِ وَسَلْبًا لِرُوحِ هَذَا ٱلْبَقَاءِ ؟

## مَقْتَلُ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ

لَيْسَ بَعْدَ ٱلْمُصِيبَةِ بِرَسُولِ ٱللهِ أَعْظَمَ وَأَكْبَرَ مِنْهَا بِهِ ، قَاصِمِ ٱلظُّهُورِ ، وَجَائِعِ ٱلنُّفُوسِ .

نَزَعَتْ نَفْسُ ٱلشَّقِيِّ أَبُو لُؤْلُؤَةَ ٱلْمَجُوسِيِّ نَزْعَةً كَانَتْ مِنْ أَشْأَمِ ٱلنَّزْعَاتِ عَلَىٰ ٱلْعَالَمِ ٱلإِنْسَانِيِّ ، قَوَّضَتِ ٱلأَصْلِ ، وَخَرَمَتِ ٱلْعَلائِقَ بَيْنَ ٱلصَّحْبِ وَٱلأَهْلِ ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِٱللهِ .

أَتَتْ مُصِيبَةٌ عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا ، بِٱلْمَصَائِبِ وَيَجْهَلُونَ طُرُقَ ٱلْعَزَاءِ فِيهَا فَأَدْهَشَتْهُمْ . فَهُمْ إِلَىٰ أَنَّهُمْ مَذْهُولُونَ مِنْهَا أَكْثَرُ مِمَّا هُمْ مَحْزُونُونَ .

أُصِيبَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فِي ٱلْمَسْجِدِ بَعْدَمَا كَبَّرَ . سُمِعَ عَنْهُ يَقُولُ : قَتَلَنِي أَوْ أَكَلَنِي ٱلْكَلْبُ ؛ حِينَ طَعَنَهُ أَبُو لُؤْلُؤَةَ . وَهُوَ غُلَامٌ مَجُوسِيٌّ كَانَ بَعَثَهُ ٱلْمُغِيرَةُ ٱبْنُ شُعْبَةَ وَهُوَ عَلَىٰ ٱلْكُوفَةِ لِمَا يَعْلَمُهُ مِنَ ٱلصَّنَائِعِ وَٱلأَعْمَالِ ٱلَّتِي فِيهَا مَنَافِعُ لِلنَّاسِ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِ مِئَةَ دِرْهَمٍ فِي ٱلشَّهْرِ ، فَٱشْتَكَىٰ إِلَىٰ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا خَرَاجُكَ بِكَثِيرٍ ؛ فَٱنْصَرَفَ سَاخِطًا يَتَذَمَّرُ ، ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ سَأَلَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَحَىٰ تَطْحَنُ بِٱلرِّيحِ كَانَ أَوْصَاهُ عَلَيْهَا ، فَقَالَ لَهُ : سَأَصْنَعُ لَكَ رَحَىٰ يَتَحَدَّثُ ٱلنَّاسُ بِهَا ؛ فَقَالَ عُمَرُ لِأَصْحَابِهِ : لَقَدْ أَوْعَدَنِي ٱلْعَبْدُ . ثُمَّ كَانَ مِنْهُ ٱلَّذِي كَانَ مِنْ طَعْنِهِ بِخِنْجَرِهِ ، وَطَعَنَ كُلَّ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ فِي ٱلْمَسْجِدِ يَمِينًا وَشِمَالاً ، حَتَّىٰ لَقَدْ طَعَنَ ثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا ، مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ ؛ ثُمَّ ٱنْتَحَرَ .

نَظَرَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ فِيمَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلدَّيْنِ وَأَوْصَىٰ بِوَفَائِهِ . ثُمَّ ٱسْتَأْذَنَ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ ، فَأَذِنَتْ لَهُ . ثُم قِيلَ لَهُ : أَوْصِ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ !

قَالَ : لا أَتَحَمَّلُهَا حَيًّا وَمَيْتًا ، إِنِ ٱسْتَخْلَفْتُ فَقَدِ ٱسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي (يَعْنِي : أَبَا بَكْرٍ) . وَإِنْ أَتْرُكُكُمْ فَقَدْ تَرَكَكُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي (يَعْنِي : رَسُولَ ٱللهِ ﷺ) ثُمَّ قَالَ : فَأَوْصَىٰ بِٱلأَنْصَارِ خَيْرًا وَٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلأَعْرَابِ ؛ وَٱسْتَقْبَلَ ٱللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ، رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .

* * *

# عُمَرِيَّة

# حافظ بك إبراهيم

في

## تاريخ سيدنا عمر بن الخطاب
## وسيرته ومناقبه وأخلاقه

بمقدمة جليلة لحضرة الأستاذ الشيخ

**محمد بك الخضري**

عن سيدنا عمر بن الخطاب أول رجل ديمقراطي
في الإسلام وثاني الخلفاء الراشدين

شرح بعض الألفاظ والكلمات اللغوية

عبد الحميد حمدي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# كَلِمَةٌ لِلطَّابِعِ ٱلأَوَّلِ
## عَبْدِ ٱلْحَمِيد حَمْدِي

وَضَعَ ٱلشَّاعِرُ الاجْتِماعِيُّ ٱلْكَبِيرُ حَافِظ بك إِبْراهيم هَذِهِ ٱلْقَصِيدَةَ يَتَغَنَّىٰ فِيهَا بِبَعْضِ مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ ثانِي ٱلْخُلَفَاءِ ٱلرَّاشِدِينَ وَأَخْلاقِهِ . وَلَمْ يَقْصِدِ ٱلشَّاعِرُ بِقَصِيدَتِهِ إِلَىٰ أَنْ تَكُونَ قِطْعَةً تَارِيخِيَّةً تَضُمُّ بَيْنَ دُفَّتَيْهَا سِيرَةَ عُمَرَ وَأَعْمَالَهُ . وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُصَوِّرَ لِلنَّاسِ مَنَاقِبَ وَأَخْلاقَ أَعْدَلِ حَاكِمٍ عَرَفَهُ ٱلتَّارِيخُ إِلَىٰ ٱلْيَوْمِ . فَقَدْ تَوَافَرَتْ لِعُمَرَ أَخْلاقٌ لَمْ تَتَوَافَرْ لِحاكِمٍ غَيْرِهِ . هَذِهِ ٱلأَخْلاقُ وَٱلْمَنَاقِبُ هِيَ ٱلَّتِي سَوَّدَتْ عُمَرَ وَمَازَتْهُ مِنَ غَيْرِهِ مِنَ ٱلْمُلُوكِ وَٱلْحُكَّامِ ، وَهِيَ ٱلَّتِي خَلَّدَتِ ٱسْمَهُ فِي ٱلتَّارِيخِ مَثَلًا حَيّاً لِلْعَدْلِ ٱلْبَالِغِ حَدَّ ٱلْكَمَالِ ، وَلِلزُّهْدِ ٱلَّذِي لَمْ يَشْهَدْ لَهُ ٱلْعَالَمُ نَظِيراً ، مَعَ ٱلْغَيْرَةِ ٱلْمُتَنَاهِيَةِ عَلَىٰ مَصْلَحَةِ ٱلرَّعِيَّةِ وَخَيْرِهَا .

أَرَادَ ٱلشَّاعِرُ أَنْ يُصَوِّرَ بَعْضَ هَذِهِ ٱلأَخْلاقِ ٱلْجَلِيلَةِ ، لِتَكُونَ قُدْوَةً فِي تَرْبِيَةِ أَخْلاقِ ٱلنَّاشِئِينَ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ هَمِّهِ إِذَنْ

أَنْ يَسْتَوْعِبَ في قَصِيدَتِهِ ٱلسِّيرَةَ ٱلْعُمَرِيَّةَ كُلَّهَا ، وَلا أَنْ يُفَصِّلَ بَعْضَ حَوَادِثِ عُمَرَ . وَلَكِنَّ بَعْضَ ٱلنَّاقِدِينَ أَخَذَ حَافِظاً بِأَنَّهُ قَصَّرَ فِي ٱلرِّوَايَةِ ٱلتَّارِيخِيَّةِ ، وَهَؤُلاءِ ٱلنُّقَّادُ وَلا شَكَّ نَظَرُوا إِلَىٰ ٱلْقَصِيدَةِ كَأَنَّهَا سِيرَةٌ تَارِيخِيَّةٌ ، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا نَظَرُوا إِلَيْهَا مِنَ ٱلْجِهَةِ ٱلَّتِي مِنْ أَجْلِهَا وَضَعَهَا ٱلشَّاعِرُ تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ نَقْدَهُمْ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ غَيْرِ أَسَاسٍ .

وَنَقَدَةٌ آخَرُونَ أَخَذُوا حَافِظاً بِاسْتِهْلالِهِ بِمَقْتَلِ عُمَرَ ، وَهَؤُلاءِ أَيْضاً مُتَأَثِّرُونَ بِفِكْرَةِ ٱلتَّرْتِيبِ ٱلتَّارِيخِيِّ ، وَلَكِنَّهُمْ مَتَىٰ عَلِمُوا أَنَّ حَافِظاً كَانَ رَاثِياً وَمُثْنِياً عَلَىٰ عُمَرَ ، لا مُؤَرِّخاً سِيرَتَهُ ، أَدْرَكُوا أَنَّهُ أَصَابَ فِي ٱسْتِهْلالِهِ ، لِيَفْجَعَ وَيَسْتَنْزِلَ غَضَبَ ٱلْعَالَمِ عَلَىٰ قَاتِلِ أَعْدَلِ مَنْ حَكَمَ ٱلنَّاسِ .

هَذَا ، ولَمَّا كَانَتِ ٱلْقَصِيدَةُ مِنْ خَيْرِ مَا يَقْتَنِي ٱلنَّاسُ وَيَسْتَفِيدُ مِنْهُ ٱلنَّاشِؤُونَ ، فَقَدْ رَأَىٰ حَضْرَةُ صَاحِبِ ٱلسَّعَادَةِ مُحَمَّد مَحْمُود بَاشا مُدِيرُ ٱلْبُحَيْرَةِ السَّابِقُ ، أَنْ يُحَقِّقَ غَرَضَ ٱلشَّاعِرِ مِنْ وَضْعِهَا ، فَتَفَضَّلَ سَعَادَتُهُ وَتَبَرَّعَ بِنَفَقَاتِ طَبْعِهَا لِيُسَهِّلَ نَشْرَهَا فِي ٱلأُمَّةِ ، وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ فِي أَمْرِ ٱلطَّبْعِ . وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ أُحَقِّقَ رَغْبَةَ سَعَادَتِهِ لِيَكُونَ لِي حَظُّ ٱلاشْتِرَاكِ فِي إِيصَالِ ٱلْفَائِدَةِ ٱلَّتِي قَصَدَهَا ٱلشَّاعِرُ ٱلْكَبِيرُ لِلنَّاشِئِينَ .

وَلَقَدْ تكَرَّمَ ٱلأُسْتَاذُ ٱلْجَلِيلُ ٱلشَّيْخُ مُحَمّد بك ٱلْخُضَرِيّ ، وَكِيلُ مَدْرَسَةِ ٱلْقَضاءِ ٱلشَّرْعِيِّ ، بِوَضْعِ مُقَدَّمَةٍ مُوجَزَةٍ في تَارِيخِ عُمَرَ ، كَمَا تَفَضَّلَ بِشَرْحِ ٱلْقَصِيدَةِ شَرْحاً تَارِيخيّاً ، وَقَدْ دَعَتِ ٱلظُّرُوفُ ٱلْحَاضِرَةُ إِلَىٰ ٱلاكْتِفَاءِ بِنَشْرِ ٱلْمُقَدَّمَةِ مَعَ إِسْدَاءِ ٱلشُّكْرِ لِلأُسْتَاذِ ٱلْجَلِيلِ عَلَىٰ مَا قَصَدَ مِنْ نَفْعِ ٱلْقَارِئِينَ بِشَرْحِهِ ٱلتَّارِيخِيِّ ٱلَّذِي نَرْجُو أَنْ تَسْمَحَ ٱلظُّرُوفُ بِنَشْرِهِ في فُرْصَةٍ أُخْرَىٰ . وَلَمَّا كَانَ ٱلشَّاعِرُ قَدْ أَشَارَ في بَعْضِ ٱلْمَوَاضِعِ إِلَىٰ حَوَادِثَ تَارِيخِيَّةٍ ، فَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ نَشْرَحَ بِإِيجازٍ في ذَيْلِ كُلِّ صَحِيفَةٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ الشَّرْحِ مِنَ ٱلْحَوادِثِ ٱلْمَذْكُورَةِ ، مَعَ تَفْسِيرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَفْسِيرٍ مِنَ ٱلْحَوَادِثِ ٱلْمَذْكُورَةِ ، مَعَ تَفْسِيرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَفْسِيرٍ مِنَ ٱلْكَلِمَاتِ ٱللُّغَوِيَّةِ .

وَإِذْ كَانَ هَذَا ٱلنَّوْعُ مِنَ ٱلشِّعْرِ نَادِراً في ٱللُّغَةِ ٱلْعَرَبِيَّةِ ، عَلَىٰ مَا فِيهِ مِنَ ٱلْفَوَائِدِ ٱلْكَبِيرَةِ ، فَإِنَّا نُحَيِّيهِ بِقُلُوبٍ مِلْؤُهَا ٱلرَّجَاءُ في أَنْ يَحذُوَ ٱلشُّعَراءُ حَذْوَ حَافِظٍ لِيَكُونَ لَمَلَكَاتِهِمُ ٱلسَّامِيَةِ ثَمَرٌ طَيِّبٌ يَنْفَعُ ٱلنَّاسَ وَيَغْذُو أَرْوَاحَهُمْ . هَذَا ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِحَافِظٍ في عَمَلِهِ ٱلأَخِيرِ إِلاَّ تَنْبِيهُ ٱلشُّعَرَاءِ إِلَىٰ طَرْقِ هَذَا ٱلْبَابِ ٱلجَمِّ ٱلْفَائِدَةِ لَكَفَاهُ ذَلِكَ فَضْلاً يَسْتَدِرُّ عَلَيْهِ ثَنَاءَ ٱلنَّاسِ وَحَمْدَهُمْ .

**عبد الحميد حمدي**

# عُمَرُ
# مُقَدَّمَةُ ٱلأُسْتَاذِ ٱلْجَلِيلِ
# ٱلشَّيْخِ مُحَمّد بك ٱلْخُضَرِيّ

هُوَ أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلِ بْنِ عَبْدِ ٱلْعُزَّىٰ بْنِ رِيَاحِ بْنِ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ قُرْطِ بْنِ رَزَاحِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ كَعْبِ ٱلْعَدوِيُّ ٱلْقُرَشِيُّ .

وَأُمُّهُ حَنْتَمَةُ بِنْتُ هَاشِمِ بْنِ ٱلْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ .

وُلِدَ بِمَكَّةَ سَنَة ٣٧ قَبْلَ ٱلْهِجْرَةِ ، وَشَبَّ عَلَىٰ ٱلشَّجَاعَةِ وَٱلنَّجْدَةِ، وَكانَتْ سِنُّهُ أَقَلَّ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ بِستَّ عَشْرَةَ سَنَةً . فَلَمَّا أُوحِيَ إِلَيْه عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ كَانَتْ سِنُّ عُمَرَ أَرْبَعاً وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ ٱلنَّاسِ عَدَاوَةً لِلإِسْلامِ وَأَهْلِهِ ، وَكَانَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ : « ٱللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ بِأَحَبِّ ٱلرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ : بِعُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ أَوْ بِأَبِي جَهْلِ ٱبْنِ هِشَام» . [ الترمذي ، رقم : ٣٦٨١ ، ٣٦٨٣ ؛ « مسند أحمد » ، رقم : ٥٦٦٣ ]

أَسْلَمَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بَعْدَ سِتِّ سِنِينَ مِنَ ٱلدَّعْوَةِ ، وَبَعْدَ

أَرْبَعِينَ أَوْ نَيِّفٍ وَأَرْبَعِينَ بَيْنَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ قَدْ أَسْلَمُو قَبْلَهُ .

وَلَمَّا أَسْلَمَ ظَهَرَ ٱلإِسْلامُ وَدُعِيَ إِلَيْهِ عَلانِيَةً ، وَجَلَسَ ٱلأَصْحَابُ حَوْلَ ٱلْبَيْتِ حَلَقاً ، وَطَافُوا بِٱلْبَيْتِ ، وَٱنْتَصَفُوا مِمَّنْ غَلُظُوا عَلَيْهِم .

وَقَالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ مَسْعُودٍ : مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ .

[ البخاري ، رقم : ٣٦٨٤ ] .

وَلَمَّا أَذِنَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ لِلنَّاسِ فِي ٱلْخُرُوجِ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ جَعَلَ ٱلْمُسْلِمُونَ يَخْرُجُونَ أَرْسالاً ، يَصْطَحِبُ ٱلرِّجَالُ فَيَخْرُجُونَ ، هَاجَرَ عُمَرُ مَعَ عَيَّاشِ ٱبْنِ أَبِي رَبِيعَةِ .

وَبَعْدَ ٱلْهِجْرَةِ ٱلنَّبَوِيَّةِ شَهِدَ عُمَرُ مَعَ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ مَشَاهِدَهُ كُلَّهَا ، وَخَرَجَ فِي عِدَّةِ سَرَايَا ، وَكَانَ أَمِيرُ بَعْضِهَا .

وَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ كَانَتْ لَهُ ٱلْيَدُ ٱلطُّولَىٰ في تَهْدِئَةِ ٱلْفِتْنَةِ وَٱلإِسْرَاعِ إِلَىٰ مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ ، وَكَانَ لأَبِي بَكْرٍ في خِلافَتِهِ ٱلْمُشِيرُ ٱلأَمِينُ . وَلَمَّا أَحَسَّ أَبُو بَكْرٍ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ ٱسْتَخْلَفَ عُمَرَ ، فَٱسْتَقْبَلَ بِخِلافَتِهِ يَوْمَ ٱلثُّلاثاءِ لِثَمَانٍ بَقِينَ مِنْ جُمَادَىٰ ٱلآخِرَةِ سَنَةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ .

وَكَانَتْ أَوَّلُ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا بَعْدَ أَنْ حَمِدَ ٱللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدِ ٱبْتُلِيتُ بِكُمْ وَٱبْتُلِيتُمْ بِي ، وَخُلِفْتُ فِيكُمْ بَعْدَ صَاحِبِي ، فَمَنْ كَانَ بِحَضْرَتِنَا بَاشَرْنَاهُ بِأَنْفُسِنَا ، وَمَهْمَا غَابَ عَنَّا ، وَلَّيْنَاهُ أَهْلَ ٱلْقُوَّةِ وَٱلأَمَانَةِ ، فَمَنْ يُحْسِنُ نُزِدْهُ حُسْناً ، وَمَنْ يُسِىءْ نُعَاقِبْهُ ؛ وَيَغْفِرُ ٱللهُ لَنَا وَلَكُمْ . [ « الطبقات الكبرى » لابن سعد ، ٣/ ٢٧٤ ] .

وَيُقَالُ : إِنَّ أَوَّلَ كَلامٍ تَكَلَّمَ بِهِ حِينَ صَعَدَ ٱلْمِنْبَرَ أَنْ قَالَ :

« ٱللَّهُمَّ إِنِّي شَدِيدٌ فَلَيِّنِّي ، وَإِنِّي ضَعِيفٌ فَقَوِّنِي ، وَإِنِّي بَخِيلٌ فَسَخِّنِي » . [ « الطبقات الكبرى » لابن سعد ، ٣/ ٢٧٤ ] .

فَأَقَامَ خَلِيفَةً إِلَىٰ أَنْ قُتِلَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ يَوْمَ ٱلأَرْبِعَاءِ لأَرْبَعٍ بَقِينَ مِنْ ذِي ٱلْحِجَّةِ سَنَةَ ٢٣ هـ ، وَدُفِنَ يَوْمَ ٱلأَحَدِ صَبَاحَ هِلالِ ٱلْمُحَرَّمِ سَنَةَ ٣٤ هـ ، فَكَانَتْ وِلايَتُهُ عَشْرَ سِنِينَ وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَإِحْدَىٰ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً مِنْ مُتَوَفَّىٰ أَبِي بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقِ عَلَىٰ رَأْسِ ٱثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً وَتِسْعَةِ أَشْهُرٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ يَوْماً مِنَ ٱلْهِجْرَةِ . وَكَانَتْ سِنُّهُ حِينَ مَاتَ سِتِّينَ سَنَةً عَلَىٰ أَرْجَحِ ٱلأَقَاوِيلِ ، وَيُقَالُ : ٦٣ ، وَيُقَالُ : ٥٥ ، وَٱلأَوَّلُ أَثْبَتُ ٱلأَقَاوِيلِ ، كَمَا قَالَ ٱبْنُ سَعْدٍ .

وَتَارِيخُ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ حَافِلٌ بِٱلأُمُورِ ٱلْجِسَامِ ٱلَّتِي جَعَلَتْ عُمَرَ سَابِقاً عَلَىٰ كُلِّ مَنْ أَتَىٰ بَعْدَهُ ، وَجَعَلَتْ كِبَارَ

أَصْحابِ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ يَشْعُرُونَ بِأَنَّ ٱلإِسْلامَ فَقَدَ بِفَقْدِهِ أَثْبَتَ أَرْكَانِهِ .

جَاءَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ سَلامٍ وَقَدْ صُلِّيَ عَلَىٰ عُمَرَ ، فَقَالَ : وَاللهِ لَئِنْ كُنْتُمْ سَبَقْتُمُونِي بِٱلصَّلاةِ عَلَيْهِ لا تَسْبِقُونِي بِٱلثَّنَاءِ عَلَيْهِ . فَقَامَ عِنْدَ سَرِيرِهِ ، فَقَالَ : نِعْمَ أَخُو ٱلإِسْلامِ كُنْتَ يَا عُمَرُ ، جَوَاداً بِٱلْحَقِّ ، بَخِيلاً بِٱلْبَاطِلِ ، تَرْضَىٰ حِينَ ٱلرِّضَا ، وَتَغْضَبُ حِينَ ٱلْغَضَبِ ، عَفِيفَ ٱلطَّرْفِ ، طَيِّبَ ٱلظَّرْفِ ، لَمْ تَكُنْ مَدَّاحاً وَلا مُغْتَاباً .

ثُمَّ جَلَسَ وَدَخَلَ عَلَيْهِ عَلِيٌّ وَهُوَ مُسَجًّى ، فَقَالَ : مَا عَلَىٰ ٱلأَرْضِ أَحَدٌ أَلْقَىٰ ٱللهُ بِصَحِيفَتِهِ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ هَذَا ٱلْمُسَجَّىٰ بَيْنَكُمْ . [راجع « مسند أحمد » ، رقم : ٨٦٨] .

قَالَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ : إِنَّ مَوْتَ عُمَرَ ثَلَمَ الإِسْلامَ ثُلْمَةً لا تُرْتَقُ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ ٱلْجَرَّاحِ يَوْماً وَهُوَ يَذْكُرُ عُمَرَ : إِنْ مَاتَ عُمَرُ رَقَّ ٱلإِسْلامُ ، مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي مَا تَطْلُعُ عَلَيْهِ ٱلشَّمْسُ أَوْ تَغْرُبُ وَأَنِّي أَبْقَىٰ بَعْدَ عُمَرَ . قَالَ قَائِلٌ : وَلِمَ ؟ قَالَ : سَتَرَوْنَ مَا أَقُولُ إِنْ بَقِيتُمْ ، أَمَا هُوَ فَإِنْ وَلِي وَالٍ بَعْدَ عُمَرَ ، فَأَخَذَهُمْ بِمَا كَانَ عُمَرُ يَأْخُذُهُمْ بِهِ لَمْ يَطِعْ لَهُ ٱلنَّاسُ بِذَلِكَ وَلَمْ

يَحْمِلُوهُ ، وَإِنْ ضَعُفَ عَنْهُمْ قَتَلُوهُ .

وَقَالَ حُذَيْفَةُ : كَانَ ٱلإِسْلامُ فِي زَمَنِ عُمَرَ كَٱلرَّجُلِ ٱلْمُقْبِلِ ، لا يَزْدَادُ إِلاَّ قُرْباً ، فَلَمَّا قُتِلَ عُمَرُ رَحِمَهُ ٱللهُ ، كَانَ كَٱلرَّجُلِ ٱلْمُدْبِرِ لا يَزْدَادُ إِلاَّ بُعْداً .

وَقَالَ لَهُ ٱبْنُ عَبَّاسٍ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ! وَٱللهِ إِنْ كَانَ إِسْلامُكَ لَنَصْراً ، وَإِنْ كَانَتْ إِمَامَتُكَ لَفَتْحاً ، وَٱللهِ لَقَدْ مَلأَتْ إِمَارَتُكَ ٱلأَرْضَ عَدْلاً ، مَا مِنِ ٱثْنَيْنِ يَخْتَصِمَانِ إِلَيْكَ إِلاَّ ٱنْتَهَيَا إِلَىٰ قَوْلِكَ . [راجع «كنز العمال» ، رقم : ٣٦٠٣٨] .

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : لَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ ، قَالَ أَبُو طَلْحَةَ : مَا مِنْ أَهْلِ ٱلْبَيْتِ مِنَ ٱلْعَرَبِ حَاضِرٍ وَلا بَادٍ إِلاَّ قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ بِقَتْلِ عُمَرَ نَقْصٌ .

وَقَالَ رَاثِيهِ [الشَّمَّاخُ بنُ ضِرَارٍ] :

جَزَىٰ ٱللهُ خَيْراً مِنْ أَمِيرٍ وَبَارَكَتْ
يَـدُ ٱللهِ فِـي ذَاكَ ٱلأَدِيـمِ ٱلْمُمَـزَّقِ
فَمَنْ يَمْشِي أَوْ يَرْكَبُ جَنَاحَيْ نَعَامَةٍ
لِيُدْرِكَ مَا قَدَّمْتَ بِٱلأَمْسِ يُسْبَقِ

قَضَيْتَ أُمُوراً ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا
بَـوَائِـقَ فـي أَكْمَـامِهَـا لَـمْ تُفْتَـقِ

[ ديوان الشماخ بن ضرار ، صفحة : ٤٤٩ ؛ « الحماسة » ١/ ٤٥٣ ؛ وقيل : هي لجزء بن ضرار أخيه ] .

كَانَتْ فِي عُمَرَ خِلالٌ جَعَلَتِ ٱلأُمَّةَ تُحِبُّهُ ، وَلا يَرَىٰ وَاحِدٌ مِنْهَا هَوَادَةً فِي طَاعَةِ أَمْرِهِ ، كَبِيرُهُمْ مَعَ صَغِيرِهِمْ ، وَأَبِيُّهُمْ قَبْلَ مُنْقَادِهِمْ ؛ فَقَدْ عَرَفُوا مِنْهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنَّهُ فَنِيَ فِي مَصْلَحَةِ أُمَّتِهِ ، لا يَهُمُّهُ مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ شَيْءٌ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَعَ ٱللهِ فِي جَمِيعِ أَمْرِهِ ، لا يَرَىٰ لِنَفْسِهِ حَقّاً أَنْ يَتَمَتَّعَ فِي هَذِهِ ٱلدُّنْيَا بِأَكْثَرَ مِمَّا يَتَمَتَّعُ بِهِ أَفْقَرُ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، نَجِدُ ذَلِكَ فِي مَأْكَلِهِ وَمَشْرَبِهِ وَمَلْبَسِهِ ، بَيْنَمَا كَثِيرٌ مِمَّنْ مَعَهُ قَدْ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمُ ٱلدُّنْيَا ، فَأَخَذُوا مِنْهَا حَظّاً عَظِيماً ؛ ثُمَّ عَرَفُوا مِنْهُ أَنَّهُ لِلْعَامَّةِ قَبْلَ ٱلْخَاصَّةِ بِكُلِّ هَؤُلاءِ إِلَىٰ مَالَهُمْ مِنَ ٱلْحَوْلِ وَٱلْحِيلَةِ فِي هَذِهِ ٱلْحَيَاةِ ، وَيُقْبِلُ هُوَ عَلَىٰ عَامَّةِ ٱلنَّاسِ وَضَعَفِهِمْ فَيُقَوِّيهِمْ وَيُسَدِّدُهُمْ ، وَيَنْظُرُ فِي صِغَارِ أُمُورِهِمْ وَكِبَارِهَا ، لا يُبَالِي بِمَا يُصِيبُهُ مِنْ تَعَبِ ٱلْجِسْمِ فِيمَا هُوَ بِسَبِيلِهِ . إِنْ شَكَا إِلَيْهِ عَامِّيٌّ جَوْرَ عَامِلِهِ أَوْ إِسَاءَةً أَصَابَتْهُ مِنْهُ ، جَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، وَأَنْصَفَ ذَلِكَ

ٱلضَّعِيفَ ٱلصَّغِيرَ مِنْ ذَلِكَ ٱلْقَوِيِّ ٱلْكَبِيرِ ؛ لِذَلكَ كَانَتْ قُوَّةُ ٱلأُمَّةِ مَعَهُ .

عَرَفُوا مِنْهُ بَعْدَ ذَلك خِلالاً أَدَّبَهُ بِهَا ٱلْقُرْآنُ مِنَ ٱلْحَقِّ وَٱلْعَدْلِ وَٱلأَمَانَةِ وَٱلصِّدْقِ وَٱلصَّبْرِ فِي ٱلْبَأْسَاءِ وَٱلضَّرَّاءِ وَٱلْوفَاءِ بِٱلْعَهْدِ ، كُلُّ تِلْكَ صِفَاتٌ تَحَلَّىٰ بِهِ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ ، فَأَتْعَبَ مَنْ بَعْدَهُ وَلَمْ يَكُنْ لأَحَدٍ قِبَلٌ أَنْ يَبْجَحَ بِٱلْقُرْبِ مِنْ صَفِّ عُمَرَ ، لا فِي سَعَةِ ٱلْعَزِيمَةِ ، وَلا ٱلْمَعْدِلَةِ ، وَلا فِي شَيْءٍ مِمَّا يَمْتَازُ بِهِ ٱلرَّاعِي في رَعِيَّتِهِ . لا نُرِيدُ أَنْ نَذْكُرَ هُنَا تَفْصِيلاً مُسْهَباً لِمَا ٱمْتَازَ بِهِ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ، فَإِنَّا إِنَّمَا قَصَدْنَا أَنْ نَشْرَحَ مَا طَرَقَهُ شَاعِرُنَا ٱلْكَبِيرُ مِنَ ٱلْحَوَادِثِ ٱلَّتِي في طَيِّهَا كَثِيرٌ مِنْ أَخْلاقِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ .

* * *

# العمرية

بقلم الشاعر

حافظ بك إبراهيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حَسْبُ ٱلْقَوَافِي وَحَسْبِيَ حِينَ أُلْقِيهَا
أَنِّي إِلَى سَاحَةِ ٱلْفَارُوقِ أُهْدِيهَا
لَاهُمَّ ! هَبْ لِي بَيَانًا أَسْتَعِينُ بِهِ
عَلَىٰ قَضَاءِ حُقُوقٍ نَامَ قَاضِيهَا
قَدْ نَازَعَتْنِي نَفْسِي أَنْ أُوَفِّيهَا
وَلَيْسَ فِي طَوْقِ مِثْلِي أَنْ يُوَفِّيهَا
فَمُرْ سَرِيَّ ٱلْمَعَانِي أَنْ يُوَاتِينِي
فِيهَا فَإِنِّي ضَعِيفُ ٱلْحَالِ وَاهِيهَا

* * *

## مَقْتَلُ عُمَرَ

مَوْلَى ٱلْمُغِيرَةِ ! لَا جَادَتْكَ غَادِيَةٌ
مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ مَا جَادَتْ غَوَادِيهَا[1]

(١) مَوْلَى ٱلْمُغِيرَةِ ، هُوَ : أَبُو لُؤْلُؤَةَ ، غُلامُ ٱلْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ؛ رَوَىٰ=

= ٱلْمُؤَرِّخُونَ أَنَّهُ شَكا إِلَىٰ عُمَرَ ٱرْتِفَاعَ ٱلْخَرَاجِ ٱلَّذِي ضَرَبَهُ عَلَيْهِ مَوْلاهُ ٱلْمُغِيرَةُ ، وَرَجَاهُ في تَخْفِيفِهِ . وَٱخْتَلَفَ ٱلْمُؤَرِّخُونَ في جُوَابِ عُمَرَ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ وَعَدَهُ خَيْراً ، وَعَزَمَ أَنْ يَلْقَىٰ ٱلْمُغِيرَةَ فِي تَخْفِيفِ ٱلْخَرَاجِ عَنْهُ ؛ وَقَالَ آخَرُونَ : إِنَّهُ سَأَلَهُ : كَمْ خَرَاجُكَ ؟ قَالَ : دِرْهَمَانِ في كُلِّ يَوْمٍ ؛ فَقَالَ عُمَرُ : وَإِيش صِنَاعَتُكَ ؟ قَالَ : نَجَّارٌ نَقَّاشٌ حدَّادٌ ؛ قَالَ : فَمَا أَرَىٰ خَرَاجَكَ بِكَثِيرٍ عَلَىٰ مَا تَصْنَعُ مِنَ ٱلأَعْمَالِ ؛ فَتَوَعَّدَهُ ٱلْغُلامُ ، وَٱنْصَرَفَ.
فَقَالَ عُمَرُ : تَوَعَّدَنِي ٱلْعَبْدُ .
وَهُنَاكَ رِوَايَاتٌ أُخْرَىٰ لا تَخْتَلِفُ في جَوْهَرِهَا عَنْ هَذِهِ .
وَيَقُولُونَ : إِنَّ ٱلْغُلامَ لَمَّا سَمِعَ جَوَابَ عُمَرَ قَالَ : وَسِعَ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمْ عَدْلُهُ غَيْرِي . وَأَضْمَرَ علَىٰ قَتْلِهِ ، فَٱصْطَنَعَ لَهُ خِنْجَراً ، لَهُ رَأْسَانِ ، وَشَحَذَهُ ، وَسَمَّهُ ، ثُمَّ أَتَىٰ بِهِ ٱلْهُرْمُزَانَ ، فَقَالَ : كَيْفَ تَرَىٰ هَذَا ؟ قَالَ : إِنَّكَ لا تَضْرِبُ بِهِ أَحَداً إِلاَّ قَتَلْتَهُ .
فَتَحَيَّنَ أَبُو لُؤْلُؤَةَ عُمَرَ ، فَجَاءَهُ في صَلاةِ ٱلْغَدَاةِ ، وقَامَ وَرَاءَهُ ، وَكَانَ عُمَرُ إِذَا أُقِيمَتِ ٱلصَّلاةُ يَقُولُ : « أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ » فَلَمَّا قَالَهَا فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ ، وَكَبَّرَ ، طَعَنَهُ أَبُو لُؤْلُؤَةَ فِي كَتِفِهِ وَفِي خَاصِرَتِهِ ، فَسَقَطَ عُمَرُ ؛ وَطَعَنَ أَبُو لُؤْلُؤَةَ ثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً مِمَّنْ حَاوَلُوا ٱلْقَبْضَ عَلَيْهِ ، فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ .
وَلَمَّا رَأَىٰ أَنَّهُ مَغْلُوبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ ، طَعَنَ نَفْسَهُ بِخِنْجَرِهِ ، فَمَاتَ .
وَيُؤْخَذُ مِنْ أَقْوَالِ ٱلْمُؤَرِّخِينَ أَنَّ قَتْلَ عُمَرَ لَمْ يَكُنْ نَتِيجَةَ حِقْدِ

مَـزَّقْـتَ مِنْـهُ أَدِيمًـا حَشْـوُهُ هِمَـمٌ
فِـي ذِمَّـةِ ٱللهِ عَـالِيهَـا وَمَـاضِيهَـا
طَعَنْـتَ خَـاصِـرَةَ ٱلْفَـارُوقِ مُنْتَقِمًـا
مِـنَ ٱلْحَنِيفَـةِ فِـي أَعْلَـىٰ مَجَـالِيهَـا
فَـأَصْبَحَـتْ دَوْلَـةُ ٱلإِسْـلَامِ حَـائِـرَةً
تَشْكُو ٱلْوَجِيعَةَ لَمَّا مَاتَ آسِيهَا
مَضَـىٰ وَخَلَّفَهَـا كَـٱلطَّـوْدِ رَاسِخَـةً
وَزَانَ بِـٱلْعَـدْلِ وَٱلتَّقْـوَىٰ مَغَـانِيهَـا
تَنْبُـو ٱلْمَعَـاوِلُ عَنْهَـا وَهْـيَ قَـائِمَـةٌ
وَٱلْهَـادِمُـونَ كَثِيـرٌ فِـي نَـوَاحِيهَـا
حَتَّـىٰ إِذَا مَـا تَـوَلَّاهَـا مُهَـدِّمُهَـا
صَاحَ ٱلزَّوَالُ بِهَا فَٱنْدَكَّ عَالِيهَا

---

= ٱلْغُلامِ عَلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ نَتِيجَةَ مُؤَامَرَةٍ سِيَاسِيَّةٍ ، كَانَ أَكْبَرُ ٱلْعامِلِينَ فِيهَا ٱلْهُرْمُزَانُ وَجُفَيْنَةُ وَكَعْبُ ٱلأَحْبَارِ ، ٱلَّذِينَ حَقَدُوا عَلَىٰ عُمَرَ تَدْوِيخَهُ لِبِلادِهِمْ مِمَّا هُوَ مُفَصَّلٌ في ٱلتَّارِيخِ ، وَقَدْ ٱصْطَنَعُوا أَبَا لُؤْلُؤَةَ لِتَنْفِيذِ غَرَضِهِمْ . وَهَذَا مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ ٱلشَّاعِرُ فِي قوْله :

طَعَنْتَ خَاصِرَةَ ٱلْفَارُوقِ مُنْتَقِمًا مِنْ ٱلْحَنِيفَةِ فِي أَعْلَىٰ مَجَالِيهَا

وَاهًا عَلَىٰ دَوْلَةٍ ! بِٱلأَمْسِ قَدْ مَلأَتْ
جَوَانِبَ ٱلشَّرْقِ رَغْدًا مِنْ أَيَادِيهَا[1]
كَمْ ظَلَّلَتْهَا وَحَاطَتْهَا بِأَجْنِحَةٍ
عَنْ أَعْيُنِ ٱلدَّهْرِ قَدْ كَانَتْ تُوَارِيهَا
مِنَ ٱلْعِنَايَةِ قَدْ رِيشَتْ قَوَادِمُهَا[2]
وَمِنْ صَمِيمِ ٱلتُّقَىٰ رِيشَتْ خَوَافِيهَا
وَٱللهِ مَا غَالَهَا قِدْمًا وَكَادَ لهَا
وَٱجْتَثَّ دَوْحَتَهَا إِلاَّ مَوَالِيهَا
لَوْ أَنَّهَا فِي صَمِيمِ ٱلْعُرْبِ قَدْ بَقِيَتْ
لَمَا نَعَاهَا عَلَىٰ ٱلأَيَّامِ نَاعِيهَا
يَالَيْتَهُمْ سَمِعُوا مَا قَالَهُ عُمَرٌ
وَٱلرُّوحُ قَدْ بَلَغَتْ مِنْهُ تَرَاقِيهَا

---

(١) في « ديوان حافظ من صباه إلى وفاته » : « مآقيها » بدلاً من : « أياديها » . بسام .

(٢) « ٱلْقَوَادِمُ » : رِيشَاتٌ في مُقَدَّم جَنَاحِ ٱلطَّيْرِ ، وَ« ٱلْخَوَافِي » رِيشَاتُ مُؤَخَّرِهِ . وَ« رِيشَتْ » مَعْنَاهَا : كُوِّنَتْ .

لاَ تُكْثِرُوا مِنْ مَوَالِيكُمْ فَإِنَّ لَهُمْ
مَطَامِعًا بَسَمَاتُ ٱلضَّعْفِ تُخْفِيهَا

* * *

## إِسْلامُ عُمَرَ

رَأَيْتَ فِي ٱلدِّينِ آرَاءً مُوفَّقَةً
فَأَنْزَلَ ٱللهُ قُرْآنًا يُزَكِّيهَا(١)

---

(١) كَانَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ ، يَسْتَشِيرُ أَصْحَابَهُ ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ أَفْضَلَهُمْ عِنْدَهُ ، لِصِدْقِ لَهْجَتِهِمَا وَعَظِيمِ إِخْلاصِهِمَا . وَلَقَدْ قَالَ ٱلنَّبِيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ فِي عُمَرَ : « إِنَّ ٱللهَ جَعَلَ ٱلْحَقَّ عَلَىٰ لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ » عَلَىٰ رِوَايَةِ ٱلتِّرْمِذِيِّ [ رقم : ٣٦٨٢ ] ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ [ رقم : ٢٩٦٢ ] ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، أَنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ ٱللهَ وَضَعَ ٱلْحَقَّ عَلَىٰ لِسَانِ عُمَرَ يَقُولُ بِهِ » ، وَرَوَىٰ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ ، قَالَ : « لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ ٱلأُمَمِ مُحَدَّثُونَ (مُلْهَمُونَ) ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ » [ البخاري ، رقم : ٣٤٦٩ ] ، وَقَدْ كَانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ يَرَىٰ ٱلرَّأْيَ فَيَنْزِلُ بِهِ ٱلْقُرْآنُ ، حَتَّىٰ بَلَغَتْ مُوَافَقَاتُهُ نَيِّفًا وَعِشْرِينَ آيَةً ، وَمِنْهَا آيَةُ تَحْرِيمِ ٱلْخَمْرِ لَمَّا قَالَ : «ٱللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي ٱلْخَمْرِ بَيَانًا شَافِيًا » [الترمذي، رقم: ٣٠٤٩؛ النسائي، رقم: ٥٥٤٠؛ أبو داود ، رقم : ٣٦٧٠ ] ، وَمِنْهَا آيَةُ =

وَكُنْتَ أَوَّلَ مَنْ قَرَّتْ بِصُحبَتِهِ
عَيْنُ ٱلْحَنِيفَةِ وَٱجْتَازَتْ أَمَانِيهَا
قَدْ كُنْتَ أَعْدَى أَعَادِيهَا فصِرْتَ لهَا
بِنِعْمَةِ ٱللهِ حِصْنًا مِنْ أَعَادِيهَا
خَرَجْتَ تَبْغِي أَذَاهَا فِي مُحَمَّدِهَا
وَلِلْحَنِيفَةِ جَبَّارٌ يُوَالِيهَا(١)

---

= ٱلاسْتِئْذَانِ فِي ٱلدُّخُولِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ [٢٤ سورة النور/ الآيتان : ٥٨ و٥٩] ، وَذَلِكَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ غُلامُهُ وَكَانَ نَائِمًا ، فَقَالَ : « ٱللَّهُمَّ حَرِّمِ ٱلدُّخُولَ » فَنَزَلَتْ آيَةُ ٱلاسْتِئْذَانِ .

(١) كَانَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ قَبْلَ إِسْلامِهِ شَدِيدًا عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﷺ ، وَفِي يَوْمٍ مِنَ ٱلأَيَّامِ خَرَجَ لِيُواصِلَ أَذَاهُ لَهُ ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَنْبَأَهُ بِأَنَّ أُخْتَهُ أَسْلَمَتْ ، وَعَيَّرَهُ بِذَلِكَ . فَعَادَ عُمَرُ إِلَىٰ بَيْتِ أُخْتِهِ ، وَكَانَ عِنْدَهَا نَفَرٌ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ يَقْرَأُونَ ٱلْقُرْآنَ ، فَلَمَّا سَمِعُوا=

فَلَـمْ تكَـدْ تَسْمَـعُ ٱلآيَـاتِ بَـالِغَـةً

---

= صَوْتَهُ ٱخْتَفُوا وَتَرَكُوا ٱلصَّحِيفَةَ ٱلَّتِي كَانُوا يَقْرَأُونَ فِيهَا ، وَقَامَتْ أُخْتُهُ ، فَفَتَحَتْ لَهُ ٱلْبَابَ ، فَقَالَ : « يَا عَدُوَّةَ نَفْسِهَا ! قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكِ صَبَوْتِ » ثُمَّ رَفَعَ شَيْئاً فِي يَدِهِ فَضَرَبَهَا بِهِ ، فَسَالَ ٱلدَّمُ ، فَلَمَّا رَأَتْ ذَلِكَ بَكَتْ ، وَقَالَتْ : « يَا ٱبْنَ ٱلْخَطَّابِ ! مَا كُنْتَ فَاعِلاً فَٱفْعَلْ ، فَقَدْ أَسْلَمْتُ » ، ثُمَّ دَخَلَ ، فَجَلَسَ عَلَىٰ ٱلسَّرِيرِ ، وَرَأَىٰ ٱلصَّحِيفَةَ ، فَأَرَادَ تَنَاوُلَهَا ، فَمَنَعَتْهُ أُخْتُهُ ، وَبَعْدَ حِوَارٍ بَيْنَهُمَا تَنَاوَلَ ٱلصَّحِيفَةَ ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ بَعْضَ مَا فِيهَا وَهُوَ يَغْضَبُ تَارَةً ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ نَفْسِهِ طَوْرًا ، وَكَانَ كُلَّمَا يَمُرُّ بِٱسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَذْعُرُ ، ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ ، حَتَّىٰ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ : ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [٥٧ سورة الحديد/ الآيتان: ٧ و٨] فَقَالَ : «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ ٱللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ ٱللهِ» . وَكَانَ هَذَا بِدْءَ إِسْلامِهِ . [ راجع قصة إسلام عمر رضي الله تعالى عنه ، في ترجمة أخته : فاطمة بنت الخطاب من كتاب « الإصابة » لابن حجر العسقلاني رحمه الله ؛ حيث قال أنه أخرج قصة إسلام عمر ابنُ أبي شيبة في « تاريخه » ، ومن طريقه أبو نُعَيْم الأصبهاني ] ثُمَّ قَصَدَ ٱلدَّارَ ٱلَّتِي كَانَ بِهَا ٱلنَّبِيُّ ﷺ ، وَأَسْلَمَ عَلَىٰ يَدَيْهِ .

حَتَّىٰ ٱنْكَفَأْتَ تُنَاوِي مَنْ يُنَاوِيهَا

سمِعْتَ سُورَةَ طَهَ مِنْ مُرَتِّلِهَا

فَزُلْزِلَتْ نِيَّةٌ قَدْ كُنْتَ تَنْوِيهَا

وقُلْتَ فِيهَا مَقَالاً لاَ يُطَاوِلُهُ

قَوْلُ ٱلْمُحِبِّ ٱلَّذِي قَدْ بَاتَ يُطْرِيهَا

ويَوْمَ أَسْلَمْتَ عَزَّ ٱلْحَقُّ وَٱرْتَفَعَتْ

عَنْ كَاهِلِ ٱلدِّينِ أَثْقَالٌ يُعَانِيهَا

وصَاحَ فِيهِ بِلَالٌ صَيْحَةً خَشَعَتْ

لَهَا ٱلْقُلُوبُ وَلَبَّتْ أَمْرَ بَارِيهَا

فأَنْتَ فِي زَمَنِ ٱلْمُخْتَارِ مُنْجِدُهَا

وَأَنْتَ فِي زَمَنِ ٱلصِّدِّيقِ مُنْجِيهَا

كَمِ ٱسْتَرَاكَ رَسُولُ ٱللهِ مُغْتَبِطًا[1]

بِحِكْمَةٍ لَكَ عِنْدَ ٱلرَّأْيِ يُلْفِيهَا

* * *

(١) « استراك » أَصْلُهَا « ٱسْتَرْءَاكَ » أَيْ : أَخَذَ رَأْيَكَ .

# عمرُ وَبَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ

وَمَوْقِفٍ لَكَ بَعْدَ ٱلْمُصْطَفَىٰ ٱفْتَرَقَتْ[١]

فِيهِ ٱلصَّحَابَةُ لَمَّا غَابَ هَادِيهَا

---

(١) لَمَّا تُوفِّيَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ دَهِشَ ٱلنَّاسُ مِنْ وَقْعِ الخَبَرِ حَتَّىٰ خَطَبَهُمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ، وَذَكَّرَهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [٣ سورة آل عمران/ الآية : ١٤٤] فَعَادُوا إِلَىٰ صَوَابِهِمْ . وَبَيْنَمَا هُمْ مُشْتَغِلِينَ بِوَفَاتِهِ ﷺ وَتَجْهِيزِهِ وَدفْنِهِ ، عَلِمُوا أَنَّ ٱلأَنْصَارَ ٱجْتَمَعُوا فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ بِقَصْدِ ٱلْمُشَاوَرَةِ فِي شَأْنِ ٱلْخِلَافَةِ ، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ لِيَتَدَارَكُوا ٱلأَمْرَ قَبْلَ تَشَعُّبِ ٱلآرَاءِ . فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَىٰ ٱلسَّقِيفَةِ كَانَ ٱلأَنْصَارُ يُبَايِعُونَ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ، فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ ، وَكَانَ مِمَّا قَالَهُ : « يَا مَعْشَرَ ٱلأَنْصَارِ ! إِنَّكُمْ لا تَذْكُرُونَ فَضْلًا إِلَّا وَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلٌ ، وَإِنَّ ٱلْعَرَبَ لا تَعْرِفُ هَذَا ٱلأَمْرَ إِلا لِقُرَيْشٍ ؛ هُمْ أَوْسَطُ ٱلْعَرَبِ دَارًا وَنَسَبًا ، وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ ٱلرَّجُلَيْنِ » ثُمَّ أَخَذَ بِيَدَيْ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ وَأَبِي عُبَيْدَةَ ٱبْنِ ٱلْجَرَّاحِ . فَكَثُرَ ٱللَّغَطُ بَيْنَ ٱلأَنْصَارِ ، وَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُم : مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ! وَقَدْ رَأَىٰ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ أَنَّ بَعْضَ ٱلأَنْصَارِ ، وَمِنْهُمْ بَشِيرُ بنُ سَعْدٍ ، يَرَوْنَ رَأْيَ ٱلْمُهَاجِرِينَ بِجَعْلِ ٱلْخِلَافَةِ فِي قُرَيْشٍ ، وَأَنَّهُ إِذَا=

بَـايَعْـتَ فِيـهِ أَبـا بَكْـرٍ فَبَـايَعَـهُ
عَلَـى ٱلْخِـلَافَـةِ قَـاصِيهَـا وَدَانِيهَـا

---

= أَجَّلَ ٱلنَّظَرُ فِي ٱلأَمْرِ قَدْ يَصْعُبُ حَلُّهُ ؛ فَقَامَ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ ، وَقَالَ : ٱبْسُطْ يَدَكَ أُبَايِعْكَ ؛ فَبَسَطَ يَدَهُ ، فَسَبَقَهُ بَشِيرٌ فَبَايَعَهُ ، وَبَايَعَهُ عُمَرُ وَسَائِرُ ٱلنَّاسِ ، وَتَخَلَّفَ عَنْ بَيْعَتِهِ عَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَٱلزُّبَيْرُ وَبَنُو هَاشِمٍ . وَيُقَالُ : إِنَّ سَبَبَ تَخَلُّفِهِمْ مَا كَانُوا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ مَصِيرِ ٱلْخِلَافَةِ إِلَيْهِمْ وَعَدَمِ صَرْفِهَا عَنْهُمْ ، وَيَسْتَدِلُّونَ عَلَىٰ ذَلِكَ بِمَا قَالَهُ يَوْمَئِذٍ عُقْبَةُ ٱبْنُ أَبِي لَهَبٍ :

مَـا كُنْـتُ أَحْسَـبُ أَنَّ ٱلأَمْـرَ مُنْصَـرِفٌ
عَنْ هَاشِمٍ ثُمَّ مِنْهُمْ عَنْ أَبِي حَسَنِ

وَيَرَىٰ بَعْضُ ٱلْمُؤَرِّخِينَ أَنَّ عَلِيًّا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْ مُبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ تَطَلُّعًا إِلَىٰ ٱلْخِلَافَةِ ، لأَنَّهُ كَانَ أَعْظَمَ ٱلنَّاسِ ٱعْتِقَادًا بِأَهْلِيَّةِ = أَبِي بَكْرٍ وَأَشَدَّهُمْ طَاعَةً لَهُ . وَلَكِنْ يُقَالُ : إِنَّهُ ٱمْتَنَعَ فِي أَوَّلِ ٱلأَمْرِ وَجْدًا عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ لَمَّا حَكَمَا بِحِرْمَانِ فَاطِمَةَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهَا مِنْ مِيرَاثِهَا مِنْ رَسُولِ ٱللهِ ﷺ إِلَىٰ آخِرِ مَا هُوَ مَرْوِيٌّ فِي ٱلتَّارِيخِ .

وَقَدْ أَشَارَ ٱلشَّارِعُ فِيمَا يَأْتِي مِنَ ٱلأَبْيَاتِ إِلَىٰ تَهْدِيدِ عُمَرَ بِتَحْرِيقِ بَيْتِ عَلِيٍّ إِذَا ٱسْتَمَرَّ يَجْتَمِعُ فِيهِ ٱلْمُتَخَلِّفُونَ عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَكِنْ يَظْهَرُ أَنَّ سَنَدَ هَذِهِ ٱلرِّوَايَةِ ٱلتَّارِيخِيَّ ضَعِيفٌ .

وَأُطْفِئَتْ فِتْنَةٌ لَوْلاَكَ لاَسْتَعَرَتْ
بَيْنَ ٱلْقَبَائِلِ وَٱنْسَابَتْ أَفَاعِيهَا
بَاتَ ٱلنَبِيُّ مُسَجَّى[1] فِي حَظِيرَتِهِ
وَأَنْتَ مُسْتَعِرُ ٱلأَحْشَاءِ دَامِيهَا
تَهِيمُ بَيْنَ عَجِيجِ ٱلنَّاسِ فِي دَهَشٍ
مِنْ نَبْأَةٍ قَدْ سَرَىٰ فِي ٱلأَرْضِ سَارِيهَا
تَصِيحُ : مَنْ قَالَ نَفْسُ ٱلْمُصْطَفَىٰ قُبِضَتْ
عَلَوْتُ هَامَتَهُ بِٱلسَّيْفِ أَبْرِيهَا
أَنْسَاكَ حُبُّكَ طَهَ أَنَّهُ بَشَرٌ
يُجْرِي عَلَيْهِ شُؤُونَ ٱلكَوْنِ مُجْرِيهَا
وَأَنَّهُ وَارِدٌ لاَ بُدَّ مَوْرِدَهُ
مِنَ ٱلْمَنِيَّةِ لاَ يُعْفِيهِ سَاقِيهَا
نَسِيتَ فِي حَقِّ طَهَ آيَةً نَزَلَتْ
وَقَدْ يُذَكَّرُ بِٱلآيَاتِ نَاسِيهَا

---

(١) « ٱلْمُسَجَّى » هُوَ : ٱلْمَيْتُ ٱلْمُغَطَّىٰ بِٱلثَّوْبِ .

ذَهِلْتَ يَوْمًا فَكَانَتْ فِتْنَةٌ عَمَمٌ
وَثَابَ رُشْدُكَ فَٱنْجَابَتْ دَيَاجِيهَا
فِلِلسَّقِيفَةِ يَوْمٌ أَنْتَ صَاحِبُهُ
فِيهِ ٱلْخِلَافَةُ قَدْ شِيدَتْ أَوَاسِيهَا
مَدَّتْ لَهَا ٱلأَوْسُ كَفًّا كَيْ تَنَاوَلَهَا
فَمَدَّتِ ٱلْخَزْرَجُ ٱلأَيْدِي تُبَارِيهَا
وظَنَّ كُلُّ فَرِيقٍ أَنَّ صَاحِبَهُمْ
أَوْلَىٰ بِهَا وَأَتَىٰ ٱلشَّحْنَاءَ آتِيهَا
حَتَّىٰ ٱنْبَرَيْتَ لَهُمْ فَٱرْتَدَّ طَامِعُهُمْ
عَنْهَا وَآخَىٰ أَبُو بَكْرٍ أَوَاخِيهَا

* * *

## عُمَرُ وَعَلِيٌّ

وَقَوْلَةٍ لِعَلِيٍّ قَالَهَا عُمَرُ
أَكْرِمْ بِسَامِعِهَا أَعْظِمْ بِمُلْقِيهَا

حَرَّقْتُ دَارَكَ لاَ أُبْقِي عَلَيْكَ بِهَا
إِنْ لَمْ تُبَايِعْ وَبِنْتُ ٱلْمُصْطَفَىٰ فِيهَا
مَا كَانَ غَيْرَ أَبِي حَفْصٍ يَفُوهُ بِهَا
أَمَامَ فَارِسِ عَدْنَانٍ وَحَامِيهَا
كِلَاهُمَا فِي سَبِيلِ ٱلْحَقِّ عَزْمَتُهُ
لاَ تَنْثَنِي أَوْ يَكُونَ ٱلْحَقُّ ثَانِيهَا
فَٱذْكُرْهُمَا وَتَرَحَّمْ كُلَّمَا ذَكَرُوا
أَعَاظِمًا أُلِّهُوا فِي ٱلْكَوْنِ تَأْلِيهَا

* * *

## عُمَرُ وَجَبَلَةُ بْنُ ٱلأَيْهَمِ

كَمْ خِفْتَ فِي ٱللهِ مَضْعُوفًا دَعَاكَ بِهِ
وَكَمْ أَخَفْتَ قَوِيًّا يَنْثَنِي تِيهَا

وَفِي حَدِيثِ فَتَىٰ غَسَّانَ مَوْعِظَةٌ(١)

لِكُلِّ ذِي نَعْرَةٍ يَأْبَىٰ تَنَاسِيهَا

فَمَا ٱلْقَوِيُّ قَوِيًّا رَغْمَ عِزَّتِهِ

عِنْدَ ٱلْخُصُومَةِ وَٱلْفَارُوقُ قَاضِيهَا

وَمَا ٱلضَّعِيفُ ضَعِيفًا بَعْدَ حُجَّتِهِ

وَإِنْ تَخَاصَمَ وَالِيهَا وَرَاعِيهَا

* * *

## عُمَرُ وَأَبُو سُفْيَانَ

وَمَا أَقَلْتَ أَبَا سُفْيَانَ حِينَ طَوَىٰ

عَنْكَ ٱلْهَدِيَّةَ مُعْتَزًّا بِمُهْدِيهَا

---

(١) فَتَىٰ غَسَّانَ ، هُوَ : جَبَلَةُ بْنُ ٱلأَيْهَمِ ، أَحَدُ أَبْنَاءِ ٱلْغَسَّانِيَّةِ ، مُلُوكِ ٱلشَّامِ . كَانَ قَدِ ٱعْتَنَقَ ٱلإِسْلامَ ، وَبَيْنَمَا هُوَ يَوْمًا يَطُوفُ ، إِذْ وَطِىءَ أَعْرَابِيٌّ ثَوْبَهُ ، فَلَطَمَهُ جَبَلَةُ لَطْمَةً هَشَّمَتْ أَنْفَهُ ، فَشَكَاهُ ٱلأَعْرَابِيُّ إِلَىٰ عُمَرَ ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَقْتَصَّ مِنْهُ وَأَبَىٰ غَيْرَ ذَلِكَ ؛ فَهَرَبَ جَبَلَةُ تَحْتَ سِتْرِ ٱلظَّلامِ ، وَٱلْتَجَأَ إِلَىٰ ٱلْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَتَنَصَّرَ ، وَإِلَىٰ ذَلِكَ يُشِيرُ ٱلشَّاعِرُ بِقَوْلِهِ :

« تَنَصَّرَتِ ٱلأَشْرَافُ مِنْ عَارِ لَطْمَةٍ » . . . الخ .

لَمْ يُغْنِ عَنْهُ وَقَدْ حَاسَبْتَهُ حَسَبُ
وَلاَ مُعَاوِيَةٌ بِٱلشَّامِ يَجْبِيهَا
قَيَّدْتَ مِنْهُ جَلِيلاً شَابَ مَفْرِقُهُ
فِي عِزَّةٍ لَيْسَ مِنْ عِزٍّ يُدَانِيهَا
قَدْ نَوَّهُوا بِٱسْمِهِ فِي جَاهِلِيَّتِهِ
وَزَادَهُ سَيِّدُ ٱلْكَوْنَيْنِ تَنْوِيهَا
فِي فَتْحِ مَكَّةَ كَانَتْ دَارُهُ حَرَمًا
قَدْ أَمَّنَ ٱللهُ بَعْدَ ٱلْبَيْتِ غَاشِيهَا
وَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَشْفَعْ لَدَىٰ عُمَرٍ
فِي هَفْوَةٍ لأَبِي سُفْيَانَ يَأْتِيهَا
تَاللهِ لَوْ فَعَلَ ٱلْخَطَّابُ فَعْلَتَهُ
لَمَا تَرَخَّصَ فِيهَا أَوْ يُجَازِيهَا
فَلاَ ٱلْحَسَابَةُ فِي حَقٍّ يُجَامِلُهَا
وَلاَ ٱلْقَرَابَةُ فِي بُطْلٍ يُحَابِيهَا
وَتِلْكَ قُوَّةُ نَفْسٍ لَوْ أَرَادَ بِهَا
شُمَّ ٱلْجِبَالِ لَمَا قَرَّتْ رَوَاسِيهَا

* * *

# عُمَرُ وَخَالِدُ بْنُ ٱلْوَلِيدِ

سَلْ قَاهِرَ ٱلْفُرْسِ وَٱلرُّومَانِ هَلْ شَفَعَتْ[1]

لَـهُ ٱلْفُتُـوحُ وَهَـلْ أَغْنَـىٰ تَـوَالِيهَـا

---

(١) بَيْنَمَا كَانَ خَالِدُ بْنُ ٱلْوَلِيدِ يَقُودُ جُيُوشَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلظَّافِرَةَ فِي فَتْحِ ٱلشَّامِ إِذْ جَاءَ ٱلْبَرِيدُ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ يَنْعَىٰ أَبَا بَكْرٍ وَيُخْبِرُ بِٱسْتِخْلافِ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ وَمَعَهُ أَمْرٌ بِعَزْلِ خَالِدٍ وَإِسْنَادِ إِمَارَةِ ٱلْجَيْشِ ٱلْعَامَّةِ إِلَىٰ أَبِي عُبَيْدَةَ ٱبْنِ ٱلْجَرَّاحِ . فَكَتَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ ٱلأَمْرَ عَنْ خَالِدٍ رَيْثَمَا تَمَّ ٱلنَّصْرُ لِلْمُسْلِمِينَ . وَكَانَ وُصُولُ ٱلْبَرِيدِ عَلَىٰ أَصَحِّ ٱلرِّوَايَاتِ وَٱلْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ حِصَارِ دِمَشْقَ .

وَيُقَالُ : إِنَّ سَبَبَ عَزْلِ خَالِدٍ أَمْرَانِ : أَوَّلُهُمَا مَا كَانَ فِي نَفْسِ عُمَرَ ٱبْنِ ٱلْخَطَّابِ عَلَىٰ خَالِدٍ مُنْذُ قَتْلِ مَالِكِ بْنِ نُوَيْرَةَ . وَمَالِكٌ هَذَا أَحَدُ رُؤَسَاءِ تَمِيمٍ ، كَانَ بَعْدَ مَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﷺ مُتَرَدِّدًا بَيْنَ ٱلْبَقَاءِ عَلَىٰ ٱلإِسْلامِ وَٱلارْتِدَادِ إِلَىٰ ٱلْكُفْرِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ سَيَّرَ خَالِدًا يُحَارِبُ ٱلْمُرْتَدِّينَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ ٱلْجُنْدُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلاً ، فَإِنْ أَذَّنَ ٱلْقَوْمُ كَفُّوا عَنْهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يُؤَذِّنُوا قَتَلُوهُمْ . . . الخ . فَلَمَّا جَاءَ خَالِدُ إِلَىٰ أَرْضِ مَالِكٍ ، بَثَّ ٱلسَّرَايَا وَأَمَرَهُمْ بِٱلدَّعْوَةِ إِلَىٰ ٱلإِسْلامِ وَأَنْ يَأْتُوهُ بِكُلِّ مَنْ لَمْ يَجِبْ ، فَجَاؤُوهُ بِمَالِكِ بْنِ نُوَيْرَةَ فِي نَفَرٍ مِنْ ثَعْلَبَةَ ؛ وَٱخْتَلَفَتِ ٱلسَّرِيَّةُ فِيهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهَا : إِنَّهُمْ =

= أجابُوا دَاعِيَةَ ٱلإِسْلامِ ؛ وَٱلْبَعْضُ قَالَ : إِنَّهُمْ لَمْ يُجِيبُوا ؛ فَلَمَّا رَأَىٰ خَالِدُ ٱخْتِلافَهُمْ ، أَمَرَ بِٱلْقَوْمِ فَحُبِسُوا فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا ، فَنَادُوا : دَافِؤُوا أَسْرَاكُمْ ؛ وَدَافِؤُوا فِي لُغَةِ كِنَانَةَ مَعْنَاهَا ؛ ٱلْقَتْلُ ؛ فَظَنَّ ٱلْقَوْمُ أَنَّهُ أَرَادَ ٱلْقَتْلَ ، وَهُوَ لَمْ يَرِدْ إِلاَّ ٱلدِّفْءَ ، فَقَتَلُوهُمْ ، وَقَتَلَ ضِرَارُ بْنُ ٱلأَزْوَرِ مَالِكاً بْنَ نُوَيْرَةَ ، فَلَمَّا عَلِمَ خَالِدٌ بِٱلأَمْرِ خَرَجَ وَكَانُوا قَدْ فَرَغُوا مِنْهُمْ ، فَقَالَ : إِذَا أَرَادَ ٱللهُ أَمْرًا أَصَابَهُ . وَتَزَوَّجَ خَالِدُ أُمَّ تَمِيمٍ ، ٱمْرَأَةَ مَالِكٍ . وَلَمَّا ٱنْتَهَىٰ ٱلْخَبَرُ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، أَشَارَ عُمَرُ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَسْتَدْعِيَ خَالِدًا ، وَيَقْتَصَّ مِنْهُ ؛ وَكَانَ عُمَرُ شَدِيدًا يُحِبُّ تَعْجِيلَ ٱلْعُقُوبَةِ ، وَأَبُو بَكْرٍ يُحِبُّ ٱلأَنَاةَ وَعَدَمَ ٱلتَّعْجِيلِ فِي ٱلْعُقُوبَةِ . وَلَمَّا أَلَحَّ عُمَرُ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَ : يَا عُمَرُ ! تَأَوَّلَ خَالِدٌ فَأَخْطَأَ ، فَٱرْفَعْ لِسَانَكَ عَنْ خَالِدٍ ، فَإِنِّي لا أَشِيمُ سَيْفًا سَلَّهُ ٱللهُ عَلَىٰ ٱلْكَافِرِينَ . وَكَتَبَ إِلَىٰ خَالِدٍ أَنْ يَقْدُمَ عَلَيْهِ ؛ فَفَعَلَ ، وَدَخَلَ ٱلْمَسْجِدَ وَعَلَيْهِ قَبَاءٌ ، وَقَدْ غَرَزَ فِي عِمَامَتِهِ أَسْهُمًا . فَقَامَ إِلَيْهِ عُمَرُ ، فَنَزَعَهَا ، وَحَطَمَهَا ، وَأَسْمَعَهُ كَلامًا أَلِيمًا ، فَلَمْ يُكَلِّمْهُ ، وَدَخَلَ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَخْبَرَهُ بِجَلِيَّةِ ٱلْخَبَرِ ، وَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ ، فَقَبِلَ عُذْرَهُ ، وَوَدَىٰ مَالِكاً مِنْ بَيْتِ مَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ .

وَأَمَّا ٱلأَمْرُ ٱلثَّانِي ، فَهُوَ إِقْبَالُ جُنْدِ ٱلْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ خَالِدِ بْنِ ٱلْوَلِيدِ ، وَحُبُّهُمْ لَهُ وَٱسْتِمَاتَتُهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي جَمِيعِ حُرُوبِهِ ، فِي ٱلْعِرَاقِ وَٱلشَّامِ ، وَذَلِكَ لِيُمْنِ طَالِعِهِ فِي ٱلْحُرُوبِ وَشَجَاعَتِهِ ٱلَّتِي

= بَلَغَتْ مَبْلَغًا سَامِيًا أَرْهَبَ ٱلْقُلُوبَ . وَقَدْ عَلِمَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ ذَلِكَ ، فَخَشِيَ مِنْ إِقْبَالِ ٱلنَّاسِ عَلَيْهِ ، لا سِيَّمَا وَأَنَّ في نَفْسِ خَالِدٍ مِن جِهَتِهِ مَا فِي نَفْسِهِ مِنْ جِهَةِ خَالِدٍ مُنْذُ قَرَعَهُ ذَلِكَ ٱلتَّقْرِيعَ ٱلشَّدِيدَ ٱلَّذِي أَشَرْنَا إِلَيْهِ . لِهَذَا بَادَرَ عُمَرُ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ بِعَزْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ خَبَرُ تَوَلِّيهِ ٱلْخِلافَةَ إِلَىٰ ٱلْمُسْلِمِينَ وَخَالِدٌ أَمِيرٌ عَلَىٰ جَيْشٍ عَظِيمٍ مِنْهُمْ ، وَلَمْ يَكْتُمْ عُمَرُ عَنْ خَالِدٍ مَا خَالَجَ نَفْسَهُ مِنْ جِهَتِهِ ، بَلْ أَظْهَرَهُ لَهُ ، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ ٱسْتَدْعَاهُ بَعْدَ عَزْلِهِ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ ، فَعَاتَبَهُ خَالِدٌ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : مَا عَزَلْتُكَ لِرِيبَةٍ فِيكَ ، وَلَكِنِ ٱفْتَتَنَ بِكَ ٱلنَّاسُ ، فَخِفْتُ أَنْ تَفْتَتِنَ بِٱلنَّاسِ .

وَهَذَا يَدُلُّ صَرَاحَةً عَلَىٰ أَنَّ عُمَرَ خَشِيَ مِنْ أَنْ تُحَدِّثَ خَالِدًا نَفْسُهُ بِشَيْءٍ فَيَشُقُّ عَصَا ٱلْمُسْلِمِينَ .

هَذَا ، وَلَمَّا مَاتَ أَبُو بَكْرٍ زَالَ مِنْ نَفْسِ خَالِدٍ مَا كَانَ يَجِدُهُ عَلَىٰ عُمَرَ ، فَقَدْ رَوَىٰ ٱلطَّبَرِيُّ أَنَّ خَالِدًا لَمَّا بَلَغَهُ مَوْتُ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَ : ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي قَضَىٰ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ ٱلْمَوْتُ ، وَكَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عُمَرَ ، وَٱلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي وَلَّىٰ عُمَرَ ، وَكَانَ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ أَلْزَمَنِي حُبَّهُ .

وَيَظْهَرُ أَنَّ عُمَرَ عَلِمَ فِيمَا بَعْدُ بِمَا خَالَجَ نَفْسَ خَالِدٍ مِنْ حُبِّهِ لَمَّا وَلِيَ ٱلْخِلافَةَ ، لِذَلِكَ لَمَّا عَزَلَهُ قَالَ لَهُ : مَا عَزَلْتُكَ لِرِيبَةٍ فِيكَ . كَتَبَ بِذَلِكَ إِلَىٰ ٱلأَمْصَارِ دَفْعًا لِلتُّهْمَةِ عَنْهُ .

وَقَدْ حَضَرَ خَالِدٌ بَعْدَ عَزْلِهِ أَغْلَبَ حُرُوبِ ٱلشَّامِ مُتَطَوِّعًا ، وَقَالَ

غَزَا فَأَبْلَىٰ وَخَيْلُ ٱللهِ قَدْ عُقِدَتْ(*)

بِٱلْيُمْنِ وَٱلنَّصْرِ وَٱلْبُشْرَى نَوَاصِيهَا

يَـرْمِـي ٱلأَعَـادِي بِـآرَاءٍ مُسَـدَّدَةٍ

وَبِٱلْفَوَارِسِ قَدْ سَالَتْ مَذَاكِيهَا

مَـا وَاقَـعَ ٱلـرُّومَ إِلاَّ فَـرَّ قَـارِحُهَـا

وَلاَ رَمَى ٱلفُرْسَ إِلاَّ طَاشَ رَامِيهَا

وَلَـمْ يَجُـزْ بَلْـدَةً إِلاَّ سَمِعْـتَ بِهَـا

ٱللهُ أَكْبَـرُ تَـدْوِي فِـي نَـوَاحِيهَـا

---

= بَعْضُ ٱلرُّوَاةِ : إِنَّهُ حَضَرَ بَعْضَ فُتُوحِ أَرْمِينِيَّةَ أَيْضًا ، وَكَانَ ٱلْمُسْلِمُونَ يَسْتَمِدُّونَ رَأْيَهُ فِي ٱلْحُرُوبِ وَيُقَدِّمُونَهُ عَلَىٰ أُمَرَائِهِمْ سَاعَةَ ٱلْحاجَةِ ، وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُوَلِّيهِ ٱلْجُيُوشَ لِلْفَتْحِ ، وَلَمَّا فَتَحَ فِي إِمَارَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ قِنَّسْرِينَ ٱلتَّابِعَةَ لِوِلايَةِ حَلَبَ ، وَٱنْتَهَىٰ ٱلْخَبَرُ بِذَلِكَ إِلَىٰ عُمَرَ ، قَالَ : أَمَّرَ خَالِدٌ نَفْسَهُ ، يَرْحَمُ ٱللهُ أَبَا بَكْرٍ ، هُوَ كَانَ أَعْلَمَ بِٱلرِّجَالِ مِنِّي .

وَبَقِيَ خَالِدٌ إِلَىٰ آخِرِ حَيَاتِهِ مُحِبًّا لِعُمَرَ ، مُطِيعًا لَهُ ، وَمُخْلِصًا ، وَقَبْلَ مَوْتِهِ أَوْصَىٰ عُمَرَ بِأَوْلادِهِ ، كَمَا أَشَارَ شَاعِرُنَا إِلَىٰ ذَلِكَ .

* هَذَا مِنَ ٱلْقَلْبِ ، وَٱلْقَلْبُ فِي ٱللُّغَةِ سَمَاعِيٌّ .

عِشْـرُونَ مَـوْقِعَـةً مَـرَّتْ مُحَجَّلَـةً
مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ بَنَانُ ٱلفَتْحِ تُحْصِيهَا
وَخـالِـدٌ فِـي سَبِيـلِ ٱللهِ مُـوقِـدُهـا
وَخَـالِـدٌ فِـي سَبِيـلِ ٱللهِ صَـالِيهَـا
أَتَـاهُ أَمْـرُ أَبِـي حَفْـصٍ فَقَبَّلَـهُ
كَمَـا يُقبِّـلُ آيَ ٱللهِ تَـالِيهَـا
وَٱسْتَقْبَلَ ٱلْعَزْلَ فِي إِبَّانِ سَطْوَتِهِ
وَمَجْـدِهِ مُسْتَـرِيـحَ ٱلنَّفْسِ هَـادِيهَـا
فَأَعْجَبْ لِسَيِّدِ مَخْزُومٍ وَفَارِسِهَا
يَـوْمَ ٱلنِّـزَالِ إِذَا نَـادَىٰ مُنَـادِيهَـا
يَقُـودُهُ حَبَشِـيٌّ فِـي عِمَـامَتِـهِ
وَلاَ تُحَـرِّكُ مَخْـزُومٌ عَـوَالِيهَـا
أَلْقَـىٰ ٱلقِيَـادَ إِلَـىٰ ٱلْجَـرَّاحِ مُمْتَثِـلاً
وَعِزَّةُ ٱلنَّفْسِ لَمْ تَجْرَحْ حَواشِيهَا
وَٱنْضَمَّ لِلْجُنْدِ يَمْشِي تَحْتَ رَايَتِهِ
وَبِـٱلْحَيَـاةِ إِذَا مَـالَـتْ يُفَـدِّيهَـا

ومَـا عَـرَتْـهُ شُكُـوكٌ فِـي خَلِيفَتِـهِ
وَلاَ ٱرْتَضَىٰ إِمْرَةَ ٱلْجَرَّاحِ تَمْوِيهَا
فَخَـالِـدٌ كَـانَ يَـدْرِي أَنَّ صَـاحِبَـهُ
قَدْ وَجَّهَ ٱلنَّفْسَ نَحْوَ ٱللهِ تَوْجِيهَا
فَمَـا يُعَـالِـجُ مِـنْ قَـوْلٍ ولاَ عَمَـلٍ
إِلاَّ أَرَادَ بِـــهِ لِلنَّـــاسِ تَـــرْفِيهَـــا
لِـذَاكَ أَوْصَـىٰ بِـأَوْلاَدٍ لَـهُ عُمَـرًا
لَمَّـا دَعَـاهُ إِلَـىٰ ٱلْفِـرْدَوْسِ دَاعِيهَـا
وَمَا نَهَىٰ عُمَرٌ فِي يَوْمِ مَصْرَعِهِ
نِسَـاءَ مَخْـزُومٍ أَنْ تَبْكِـي بَـوَاكِيهَـا
وَقِيلَ خَالَفْتَ يَا فَارُوقُ صَاحِبَنَا
فِيهِ وَقَدْ كَانَ أَعْطَىٰ ٱلْقَوْسَ بَارِيهَا
فَقَالَ خِفْتُ ٱفْتِتَانَ ٱلْمُسْلِمِينَ بِهِ
وَفِتْنَةُ ٱلنَّفْسِ أَعْيَتْ مَنْ يُدَاوِيهَا
هَبُـوهُ أَخْطَـأَ فِـي تَـأْوِيـلِ مَقْصِـدِهِ
وَأَنَّهَـا سَقْطَـةٌ فِـي عَيْـنِ نَـاعِيهَـا

فَلَـنْ تَعِيبَ حَصِيفَ ٱلـرَّأْيِ زَلَّتُـهُ
حَتَّىٰ يَعِيبَ سُيُوفَ ٱلْهِنْدِ نابِيهَا
تَاللهِ لَمْ يَتَّبِعْ فِي ٱبْنِ ٱلْوَلِيدِ هَوًى
وَلاَ شَفَىٰ غُلَّةً فِي ٱلصَّدْرِ يَطْوِيهَا
لَكِنَّـهُ قَـدْ رَأَىٰ رَأْيًـا فَـأَتْبَعَـهُ
عَـزِيمَـةً مِنْـهُ لَـمْ تُثْلَـمْ مَـوَاضِيهَـا
لَمْ يَرْعَ فِي طَاعَةِ ٱلْمَوْلَىٰ خُؤُولَتَهُ
وَلاَ رَعَـىٰ غَيْـرَهَـا فِيمَـا يُنَـافِيهَـا
وَمَا أَصَابَ ٱبْنَهُ وَٱلسَّوْطُ يَأْخُذُهُ
لَدَيْهِ مِنْ رَأْفَةٍ فِي ٱلْحَدِّ يُبْدِيهَا
إِنَّ ٱلَّـذِي بَـرَأَ ٱلْفَـارُوقَ نَـزَّهَـهُ
عَنِ ٱلنَّقَائِصِ وَٱلأَغْرَاضِ تَنْزِيهَا
فَـذَاكَ خُلْـقٌ مِـنَ ٱلْفِـرْدَوْسِ طِينَتُـهُ
ٱللهُ أَوْدَعَ فِيهَـا مَـا يُنَقِّيهَـا
لاَ ٱلْكِبْرُ يَسْكُنُهَا لاَ ٱلظُّلْمُ يَصْحَبُهَا
لاَ ٱلْحِقْدُ يَعْرِفُهَا لاَ ٱلْحِرْصُ يُغْوِيهَا

* * *

# عُمَرُ وَعَمْرُو بْنُ ٱلْعَاصِ

شَاطَرْتَ دَاهِيَةَ ٱلسُّوَّاسِ ثَرْوَتَهُ
وَلَمْ تَخَفْهُ بِمِصْرٍ وَهُوَ وَالِيهَا[1]
وَأَنْتَ تَعْرِفُ عَمْرًا فِي حَوَاضِرِهَا
وَلَسْتَ تَجْهَلُ عَمْرًا فِي بَوَادِيهَا
لَمْ تُنْبِتِ ٱلأَرْضُ كَٱبْنِ ٱلْعَاصِ دَاهِيَةً
يَرْمِي ٱلْخُطُوبَ بِرَأْيٍ لَيْسَ يُخْطِيهَا
فَلَمْ يُرِغْ حِيلَةً فِيمَا أَمَرْتَ بِهِ
وَقَامَ عَمْرٌو إِلَىٰ ٱلأَحْمَالِ يُزْجِيهَا
وَلَمْ تُقِلْ عَامِلًا مِنْهَا وَقَدْ كَثُرَتْ
أَمْوَالُهُ وَفَشَا فِي ٱلأَرْضِ فَاشِيهَا

* * *

(١) كَانَ شَأْنُ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ مَعَ عُمَّالِهِ أَنْ يُصَادِرَهُمْ فِي نِصْفَ مَالِهِمْ ، لأَنَّهُ كَانَ يَرَىٰ أَنَّ مَا يَجْمَعُونَهُ مِنَ ٱلْمَالِ إِنَّمَا هُوَ حَقٌّ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُمْ وَيُرَدَّ لِبَيْتِ ٱلْمَالِ .

## عُمَرُ وَوَلَدُهُ عَبْدُ ٱللهِ

وَمَـا وَقَـىٰ ٱبْنُـكَ عَبْـدُ اللهِ أَيْنُقَـهُ
لَمَّـا ٱطَّلَعْـتَ عَلَيْهَـا فِـي مَـرَاعِيهَـا
رَأَيْتَهَـا فِـي حِمَـاهُ وَهْـيَ سَـارِحَـةٌ
مِثْلَ ٱلْقُصُورِ قَدِ ٱهْتَزَّتْ أَعَالِيهَا
فَقُلْـتَ مَـا كَـانَ عَبْـدُ ٱللهِ يُشْبِعُهَـا
لَوْ لَـمْ يَكُنْ وَلَدِي أَوْ كَانَ يُرْوِيهَا
قَدِ ٱسْتَعَانَ بِجَاهِي فِي تِجَارَتِهِ
وَبَـاتَ بِـٱسْـمِ أَبِـي حَفْـصٍ يُنَمِّيهَـا
رُدُّوا النِّيَـاقَ لِبَيْـتِ ٱلْمَـالِ إِنَّ لَـهُ
حَـقَّ ٱلـزِّيـادَةِ فِيهَـا قَبْـلَ شَـارِيهَـا
وَهَـــذِهِ خُطَّـــةٌ للهِ وَاضِعُهَـــا
رَدَّتْ حُقُوقًا فَأَغْنَتْ مُسْتَمِيحِيهَا
مَـا ٱلاشْتِـرَاكِيَّـةُ ٱلْمَنْشُـودُ جَـانِبُهَـا
بَيْنَ ٱلْوَرَىٰ غَيْرَ مَبْنَىٰ مِنْ مَبَانِيهَا

فَـإِنْ نَكُـنْ نَحْـنُ أَهْلِيهَـا وَمَنْبِتَهَـا
فَـإِنَّهُـمْ عَـرَفُـوهَـا قَبْـلَ أَهْلِيْهَـا

* * *

## عُمَرُ وَنَصْرُ بْنُ حَجَّاجٍ

جَنَىٰ ٱلْجَمَالُ عَلَىٰ نَصْرٍ فَغَرَّبهُ
عَـنِ ٱلْمَـدِينَـةِ تَبْكِيـهِ وَيَبْكِيهَـا
وَكَمْ رَمَتْ قَسِمَاتُ ٱلْحُسْنِ صَاحِبَهَا
وَأَتْعَبَتْ قَصَبَاتُ ٱلسَّبْقِ حَاوِيهَا
وَزَهْرَةُ ٱلرَّوْضِ لَوْ لاَ حُسْنُ رَوْنَقِهَا
لَمَا ٱسْتَطَالَتْ عَلَيْهَا كَفُّ جَانِيهَا
كَـانَـتْ لَـهُ لِمَّـةٌ فَيْنَـانَـةٌ عَجَـبٌ
عَلَـى جَبِيـنٍ خَلِيـقٍ أَنْ يُحَلِّيهَـا
وَكَانَ أَنَّىٰ مَشَىٰ مَالَتْ عَقَائِلُهَا
شَـوْقًـا إِلَيْـهِ وَكَـادَ ٱلْحُسْـنُ يُسْبِيهَـا
هَتَفْنَ تَحْتَ ٱللَّيَالِي بِٱسْمِهِ شَغَفًا
وَلِلْحِسَـانِ تَمَـنٍّ فِـي لَيَـالِيهَـا

جَـزَزْتَ لِمَّتَـهُ لَمَّـا أُتِيـتَ بِـهِ
فَفَاقَ عَاطِلُهَا فِي ٱلْحُسْنِ حَالِيهَا
فَصِحْتَ فِيهِ تَحَوَّلْ عَنْ مَدِيْنَتِهِمْ
فَـإِنهَـا فِتْنَـةٌ أَخْشَـىٰ تَمـادِيهَـا
وَفِتْنَـةُ ٱلْحُسْـنِ إِنْ هَبَّتْ نَـوَافِحُهَـا
كَفِتْنَةِ ٱلْحَرْبِ إِنْ هَبَّتْ سَوَافِيهَا

* * *

## عُمَرُ وَرَسُولُ كِسْرَىٰ(١)

وَرَاعَ صَـاحِـبَ كِسْـرَىٰ أَنْ رَأَىٰ عُمَـرًا
بَيْـنَ ٱلـرَّعِيَّـةِ عُطْـلًا وَهْـوَ رَاعِيهَـا

---

(١) حِكَايَةُ رَسُولِ كِسْرَىٰ مَشْهُورَةٌ فِي تَارِيخِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ، مُلَخَّصُهَا أَنَّ هَذَا ٱلرَّسُولَ لَمَّا وَصَلَ إِلَىٰ ٱلْمَدِينَةِ يُرِيدُ مُقَابَلَةَ ٱلْخَلِيفَةِ، جَعَلَ يَسْتَهْدِي إِلَىٰ قَصْرِهِ، فَعَلِمَ أَنَّهُ لا يَسْكُنُ قَصْرًا، وَٱنْتَهَىٰ بِهِ ٱلأَمْرُ إِلَىٰ أَنْ وَصَلَ إِلَىٰ بَيْتٍ كَبُيُوتِ أَفْقَرِ ٱلْعَرَبِ، وَهُنَاكَ كَانَ ٱلْخَلِيفَةُ ٱلْعَظِيمُ رَاقِدًا عَلَىٰ ٱلرَّمْلِ أَمَامَ ٱلْبَيْتِ جَاعِلًا مِنْهُ وِسَادَةً أَسْنَدَ إِلَيْهَا رَأْسَهُ، وَلَمْ يَكُنْ حَوْلَهُ مِنْ مَظَاهِرِ هَذِهِ ٱلْحَيَاةِ

وَعَهْـــدُهُ بِمُلُـــوكِ ٱلفُـــرْسِ أَنَّ لهَـــا
سُـورًا مِـنَ ٱلْجُنْـدِ وَٱلأَحْـرَاسِ يَحْمِيهَـا
رَآهُ مُسْتَغْـرِقًـا فِـي نَـوْمِـهِ فَـرَأَىٰ
فِيـهِ ٱلْجَـلَالَـةَ فِـي أَسْمَـىٰ مَعَـانِيهَـا
فَوْقَ ٱلثَّرَىٰ تَحْتَ ظِلِّ ٱلدَّوْحِ مُشْتَمِلًا
بِبُـرْدَةٍ كَـادَ طُـولُ ٱلْعَهْـدِ يُبْلِيهَـا
فَهَـانَ فِـي عَيْنِـهِ مَـا كَـانَ يُكْبِـرُهُ
مِـنَ ٱلأَكَـاسِـرِ وَٱلـدُّنْيَـا بِـأَيْـدِيهَـا
وَقَـالَ قَـوْلَـةَ حَـقٍّ أَصْبَحَـتْ مَثَـلًا
وَأَصْبَحَ ٱلجِيلُ بَعْدَ ٱلْجِيلِ يَرْوِيهَا
أَمِنْـتَ لَمَّـا أَقَمْـتَ ٱلْعَـدْلَ بَيْنَهُـمُ
فَنِمْـتَ نَـوْمَ قَـرِيـرَ ٱلْعَيْـنِ هَـانِيهَـا

* * *

= مَا يُمَيِّزُهُ مِنْ أَصْغَرِ فَرْدٍ فِي رَعِيَّتِهِ ، فَلَمَّا رَأَىٰ ٱلرَّسُولُ ذَلِكَ دَهِشَ وَأَكْبَرَ ٱلْخَلِيفَةَ ، وَوَقَفَ أَمَامَهُ خَاشِعًا ، وَقَالَ عِبَارَتَهُ ٱلشَّهِيرَةَ : « عَدَلْتَ يَا عُمَرُ فَنِمْتَ » .

# عُمَرُ وَٱلشُّورَىٰ(١)

يَا رَافِعًا رَايَةَ ٱلشُّورَىٰ وَحَارِسَهَا
جَـزَاكَ رَبُّـكَ خَيْـرًا عَـنْ مُحِبِّيهَـا
لَمْ يُلْهِكَ ٱلنَّزْعُ عَنْ تَأْيِيدِ دَوْلَتِهَا
وَلِلْمَنِيَّـــةِ آلَامٌ تُعَـــانِيهَـــا
لَـمْ أَنْـسَ أَمْـرَكَ لِلْمِقْـدَادِ يَحْمِلُـهُ
إِلَـىٰ ٱلْجَمَـاعَـةِ إِنْـذَارًا وَتَنْبِيهَـا
إِنْ ظَـلَّ بَعْـدَ ثَـلَاثٍ رَأْيُهَـا شُعَبًـا
فَجَرِّدِ ٱلسَّيْفَ وَٱضْرِبْ فِي هَوَادِيهَا
فَٱعْجَبْ لِقُوَّةِ نَفْسٍ لَيْسَ يَصْرِفُهَا
طَعْـمُ ٱلْمَنِيَّـةِ مُـرًّا عَـنْ مَـرَامِيهَـا
دَرَىٰ عَمِيدُ بَنِي ٱلشُّورَىٰ بِمَوْضِعِهَا
فَعَـاشَ مَـاعَـاشَ يَبْنِيهَـا وَيُعْلِيهَـا

---

(١) عُمَرُ هُوَ أَوَّلُ مَنْ قَرَّرَ قَاعِدَةَ ٱلشُّورَىٰ فِي ٱنْتِخَابِ ٱلْخَلِيفَةِ .

ومَـا ٱسْتَبَـدَّ بِـرَأْيٍ فِـي حُكُـومَتِـهِ
إِنَّ ٱلْحُكُـومَـةَ تُغْـرِي مُسْتَبْـدِيهَـا
رَأْيُ ٱلْجَمَاعَةِ لاَ تَشْقَىٰ ٱلْبِلاَدُ بِهِ
رَغْمَ ٱلْخِلاَفِ وَرَأْيُ ٱلْفَرْدِ يُشْقِيهَا

* * *

## مِثَالٌ مِنْ زُهْدِهِ

يَا مَنْ صَدَفْتَ عَنِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتِهَا
فَلَـم يَغُـرَّكَ مِـنْ دُنْيَـاكَ مَغْـرِيهَـا
مَاذَا رَأَيْتَ بِبَابِ ٱلشَّامِ حِينَ رَأَوْا
أَنْ يُلْبِسُـوكَ مِـنْ ٱلأَثْـوَابِ زَاهِيهَـا
وَيُـرْكِبُـوكَ عَلَـىٰ ٱلْبِـرْذَوْنِ تَقْـدُمُـهُ
خَيْـلٌ مُطَهَّمَـةٌ تَحْلُـو مَـرائِيهَـا
مَشَـىٰ فَهَمْلَـجَ[1] مُخْتَـالاً بِـرَاكِبِـهِ
وَفِي ٱلْبَرَاذِينِ مَا تُزْهَىٰ بِعَالِيهَا

---

(١) هَمْلَجَ ، أَيْ : تَمَايَلَ عَجَباً .

فَصِحْتَ: يَا قَوْمِ! كَادَ ٱلزَّهْوُ يَقْتُلُنِي
وَدَاخَلَتْنِـيَ حَـالٌ لَسْـتُ أَدْرِيهَـا
وَكَـادَ يَصْبُـو إِلَـىٰ دُنْيَـاكُـمُ عُمَـرٌ
وَيَـرْتَضِـي بَيْـعَ بَـاقِيـهِ بِفَـانِيهَـا
رُدُّوا رِكَـابِـي فَـلا أَبْغِـي بِـهِ بَـدَلاً
رُدُّوا ثِيَابِي فَحَسْبِي ٱلْيَوْمَ بَالِيهَا

* * *

## مِثَالٌ مِنْ رَحْمَتِهِ(١)

وَمَـنْ رَآهُ أَمَـامَ ٱلْقِـدْرِ مُنْبَطِحًـا
وَٱلنَّـارُ تَـأْخُـذُ مِنْـهُ وَهْـوَ يُـذْكِيهَـا

---

(١) كَانَ مِنْ عَادَةِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ أَنْ يَتَعَسَّسَ فِي ٱللَّيْلِ مُسْتَطْلِعًا أَخْبَارَ رَعِيَّتِهِ سَاهِرًا عَلَىٰ رَاحَتِهَا ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ مَرَّ ذَاتَ لَيْلَةٍ بِدَارِ قَوْمٍ فُقَرَاءَ ، وَسَمِعَ أَنِينَ رَبَّةِ ٱلْبَيْتِ وَقَدْ جَاءَها ٱلْمَخَاضُ وَحَوْلَهَا صِبْيَةٌ صِغَارٌ بَلَغَ مِنْهُمْ ٱلْجُوعُ ، وَلَيْسَ فِي ٱلدَّارِ مِنَ ٱلرِّزْقِ مَا يَسُدُّ رَمَقَهُمْ ، وَزَوْجُهَا رَجُلٌ فَقِيرٌ لا يَمْلِكُ مِنْ حُطَامِ ٱلْعَالَمِ مَا تَحْتَاجُهُ وَالِدَةٌ فِي مِثْلِ مَا كَانَتِ ٱمْرَأَتُهُ ، وَلا مَا يُطْعِمُ بِهِ أَوْلادَهُ ؛ فَذَهَبَ عُمَرُ إِلَىٰ بَيْتِ ٱلْمَالِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِمْ يَحْمِلُ شَيْئًا مِنَ ٱلطَّعَامِ وَوَضَعَهُ فِي قِدْرٍ ، أَوْقَدَ تَحْتَهَا ٱلنَّارَ، وَجَعَلَ يَنْفُخُ فِيهَا لِيُسَوِّي =

وَقَــدْ تَخَلَّــلَ فِــي أَثْنَــاءِ لِحْيَتِــهِ
مِنْهَا ٱلدُّخَانُ وَفُوهُ غَابَ فِي فِيْهَا
رَأَىٰ هُنَــاكَ أَمِيــرَ ٱلْمُــؤْمِنِيْــنِ عَلَــىٰ
حَــالٍ تَــرُوعُ لَعَمْــرُ ٱللهِ رَائِيهَــا
يَسْتَقْبِلُ ٱلنَّارَ خَوْفَ ٱلنَّارِ فِي غَدِهِ
وَٱلْعَيْنُ مِنْ خَشْيَةٍ سَالَتْ مَآقِيهَا

* * *

## مِثَالٌ مِنْ تَقَشُّفِهِ وَوَرَعِهِ(١)

إِنْ جَاعَ فِي شِدَّةٍ قَوْمٌ شَرِكْتَهُمُ
فِي ٱلْجُوعِ أَوْ تَنْجَلِي عَنْهُمْ غَوَاشِيهَا

---

= ٱلطَّعَامَ ، وَسَهِرَ عَلَىٰ ٱلْقَوْمِ حَتَّىٰ تَمَّ لِلْمَرْأَةِ ٱلْوَضْعُ وَشَبِعَ ٱلصِّغَارُ ، فَعَادَ عُمَرُ إِلَىٰ دَارِهِ ، وَبَقِيَتْ فِي ذَلِكَ ٱلْبَيْتِ آثَارُ رَحْمَتِهِ تَمْلأُ قُلُوبَ أَهْلِهِ سَعَادَةً وَعَزَاءً .

(١) كَانَ مِنْ عَادَةِ عُمَرَ إِذَا نَزَلَتْ بِٱلْقَوْمِ مَجَاعَةٌ ، أَنْ لا يَأْكُلَ دَاخِلَ بَيْتِهِ ، بَلْ يَأْخُذُ طَعَامَهُ وَيَشْتَرِكُ مَعَ ٱلْقَوْمِ إِلَىٰ أَنْ تَنْتَهِيَ ٱلْمَجَاعَةُ ، حَتَّىٰ يَعْلَمُوا أَنَّ ٱلْخَلِيفَةَ لا يَأْكُلُ مِنْ غَيْرِ مَا يَأْكُلُونَ .

جُـوعُ ٱلْخَلِيْفَـةِ وَٱلـدُّنْيَـا بِقَبْضَتِـهِ
فِي ٱلزُّهْدِ مَنْزِلَةٌ سُبْحَانَ مُولِيهَا
فَمَـنْ يُبَـارِي أَبَـا حَفْـصٍ وَسِيْـرَتَـهُ
أَوْ مَـنْ يُحَـاوِلُ لِلْفَـارُوقِ تَشْبِيهَـا
يَوْمَ ٱشْتَهَتْ زَوْجُهُ ٱلْحَلْوَىٰ فَقَالَ لَهَا
مِنْ أَيْنَ لِي ثَمَنُ ٱلْحَلْوَىٰ فَأَشْرِيْهَا
لاَ تَمْتَطِي شَهَوَاتِ ٱلنَّفْسِ جَامِحَةً
فَكِسْرَةُ ٱلْخُبْزِ عَنْ حَلْوَاكِ تَجْزِيْهَاْ
وَهَلْ يَفِي بَيْتُ مَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ بِمَا
تُوحِي إِلَيْكِ إِذَا طَاوَعْتِ مُوحِيهَا
قَالَتْ: لَكَ ٱللهُ إِنِّي لَسْتُ أَرْزَؤُهُ
مَـالاً لِحَـاجَـةِ نَفْـسٍ كُنْـتُ أَبْغِيهَـا
لَكِـنْ أُجَنِّـبُ شَيْئًـا مِـنْ وَظِيْفَتِنَـا
فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَىٰ حَالٍ أُسَوِّيْهَا
حَتَّـىٰ إِذَا مَـا مَلَكْنَـا مَـا يُكَـافِئُهَـا
شَـرَيتُهَـا ثُـمَّ إِنِّـي لاَ أُثَنِّيْهَـا

قَالَ: ٱذْهَبِي وَٱعْلَمِي إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً
أَنَّ ٱلْقَنَاعَةَ تُغْنِي نَفْسَ كَاسِيهَا
وَأَقْبَلَتْ بَعْدَ خَمْسٍ وَهْيَ حَامِلَةٌ
دُرَيْهِمَاتٍ لِتَقْضِي مِنْ تَشَهِّيْهَا
فَقَالَ: نَبَّهْتِ مِنِّي غَافِلًا فَدَعِي
هَذِي ٱلدَّرَاهِمَ إِذْ لاَ حَقَّ لِي فِيهَا
وَيْلِي عَلى عُمَرٍ يَرْضَىٰ بِمُوْفِيَةٍ
عَلَىٰ ٱلْكَفَافِ وَيَنْهَىٰ مُسْتَزِيدِيْهَا
مَا زَادَ عَنْ قُوتِنَا فَٱلْمُسلِمُونَ بِهِ
أَوْلَىٰ فَقُومِي لِبَيْتِ ٱلْمَالِ رُدِّيْهَا
كَذَاكَ أَخْلَاقُهُ كَانَتْ وَمَا عُهِدَتْ
بَعْدَ ٱلنُّبُوَّةِ أَخْلَاقٌ تُحَاكِيْهَا

* * *

## مِثَالٌ مِنْ هَيْبَتِهِ

فِـي ٱلْجَـاهِلِيَّـةِ وَٱلإِسْـلَامِ هَيْبَتُـهُ
تَثْنِي ٱلْخُطُوبَ فَلَا تَعْدُو عَوَادِيْهَا
فِـي طَـيِّ شِـدَّتِـهِ أَسْـرَارُ مَـرْحَمَـةٍ
لِلْعَـالَمِيْـنَ وَلَكِـنْ لَيْـسَ يُفْشِيهَـا
وَبَيْـنَ جَنْبَيْـهِ فِـي أَوْفَـىٰ صَـرَامَتِـهِ
فُـؤَادُ وَالِـدَةٍ تَـرْعَـىٰ ذَرَارِيْهَـا
أَغْنَتْ عَنِ ٱلصَّارِمِ ٱلْمَصْقُولِ دِرَّتُهُ
فَكَمْ أَخَافَتْ غَوِيَّ ٱلنَّفْسِ عَاتِيهَا
كَانَتْ لَهُ كَعَصَا مُوسَىٰ لِصَاحِبِهَا
لَا يَنْـزِلُ ٱلْبَطَـلُ مُجْتَـازًا بِـوادِيهَـا
أَخَافَ حَتَّىٰ ٱلذَّرَارِي فِي مَلَاعِبِهَا
وَرَاعَ حَتَّىٰ ٱلْغَوَانِي فِي مَلَاهِيْهَا
أَرَيْـتَ تِلْـكَ الَّتِـي للهِ قَـدْ نَـذَرَتْ
أُنْشُـودَةً لِـرَسُـولِ ٱللهِ تُهْـدِيهَـا

قَالَتْ: نَذَرْتُ لَئِنْ عَادَ ٱلنَّبِيُّ لَنَا
مِـنْ غَـزْوِهِ لَعَلَـىٰ دُفِّـي أُغَنِّيهَـا
وَيَمَّمَتْ حَضْرَةَ ٱلْهَادِي وَقَدْ مَلأَتْ
أَنْـوَارُ طَلْعَتِـهِ أَرْجَـاءَ نَـادِيْهَـا
وَٱسْتأْذَنَتْ وَمَشَتْ بِٱلدُّفِّ وَٱنْدَفَعَتْ
تُشْجِي بِأَلْحَانِهَا مَا شَاءَ مُشْجِيهَا
وَٱلْمُصْطَفَـىٰ وَأَبُـو بَكْـرٍ بِجَـانِبِـهِ
لاَ يُنْكِـرَانِ عَلَيْهَـا مِـنْ أَغَـانِيهَـا
حَتَّـىٰ إِذَا لاَحَ عَـنْ بُعْـدٍ لَهَـا عُمَـرٌ
خَارَتْ قُوَاهَا وَكَادَ ٱلْخَوْفُ يُرْدِيْهَا
وَخَبَّـأَتْ دُفَّهَـا فِـي ثَـوْبِهَـا فَـرَقًـا
مِنْهُ وَوَدَّتْ لَوَ ٱنَّ ٱلأَرْضَ تَطْوِيهَا
قَدْ كَانَ حِلْمُ رَسُولِ ٱللهِ يُؤْنِسُهَا
فَجَاءَ بَطْشُ أَبِي حَفْصٍ يُخَشِّيْهَا
فَقَـالَ مَهْبِـطُ وَحْـيِ ٱللهِ مُبْتَسِمًـا
وَفِـي ٱبْتَسَـامَتِـهِ مَعْنًـى يُـوَاسِيهَـا

قَدْ فَرَّ شَيْطَانُهَا لَمَّا رَأَىٰ عُمَرَا
إِنَّ ٱلشَّيَاطِيْنَ تَخْشَىٰ بَأْسَ مُخْزِيهَا

* * *

## مِثَالٌ مِنْ رُجُوعِهِ إِلَىٰ ٱلْحَقِّ

وَفِتْيَةٍ وَلَعُوا بِٱلرَّاحِ فَٱنْتَبَذُوا
لَهُمْ مكَانًا وَجَدُّوا فِي تَعَاطِيهَا
ظَهَرْتَ حَائِطَهُمْ لَمَّا عَلِمْتَ بِهِمْ
وَٱللَّيْلُ مُعْتَكِرُ ٱلأَرْجَاءِ سَاجِيهَا
حَتَّى تَبَيَّنْتَهُمْ وَٱلْخَمْرُ قَدْ أَخَذَتْ
تَعْلُو ذُؤَابَةَ سَاقِيهَا وَحَاسِيهَا
سَفَّهْتَ آرَاءَهُمْ فِيهَا فَمَا لَبِثُوا
أَنْ أَوْسَعُوكَ عَلَىٰ مَا جِئْتَ تَسْفِيهَا
وَرُمْتَ تَفْقِيهَهُمْ فِي دِينِهِمْ فَإِذَا
بِٱلشَّرْبِ قَدْ بَرَعُوا ٱلْفَارُوقَ تَفْقِيهَا
قَالُوا : مَكَانَكَ قَدْ جِئْنَا بِوَاحِدَةٍ
وَجِئْتَنَا بِثَلَاثٍ لاَ تُبَالِيهَا

فَأْتِ ٱلْبُيُوتَ مِنَ ٱلأَبْوَابِ يَا عُمَرُ
فَقَدْ يُزَنُّ[١] مِنَ ٱلْحِيطَانِ آتِيهَا
وَٱسْتَأْذِنِ ٱلنَّاسَ أَنْ تَغْشَىٰ بُيُوتَهُمُ
وَلاَ تُلِمَّ بِدَارٍ أَوْ تُحَيِّيهَا
وَلاَ تَجَسَّسْ فَهَذِي ٱلآيُ قَدْ نَزَلَتْ
بِٱلنَّهْيِ عَنْهُ فَلَمْ تَذْكُرْ نَوَاهِيهَا
فَعُدْتَ عَنْهُمْ وَقَدْ أَكْبَرْتَ حُجَّتَهُمْ
لَمَّا رَأَيْتَ كِتَابَ ٱللهِ يُمْلِيهَا
وَمَا أَنِفْتَ وَإِنْ كَانُوا عَلَىٰ حَرَجٍ
مِنْ أَنْ يَحُجَّكَ بِٱلآيَاتِ عَاصِيهَا

* * *

(١) يُزَنُّ ، أَيْ : يُعَابُ .

# عُمَرُ وَشَجَرَةُ ٱلرِّضْوَانِ[١]

وَسَرْحَةٍ فِي سَمَاءِ ٱلسَّرْحِ قَدْ رَفَعَتْ
بِبَيْعَةِ ٱلْمُصْطَفَىٰ مِنْ رَأْسِهَا تِيْهَا
أَزَلْتَهَا حِينَ غَالَوْا فِي ٱلطَّوَافِ بِهَا
وَكَانَ تَطْوَافُهُمْ لِلدِّينِ تَشْوِيهَا

* * *

(١) شَجَرَةُ ٱلرِّضْوَانِ ، هِيَ : ٱلشَّجَرَةُ ٱلَّتِي بَايَعَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ تَحْتَهَا يَوْمَ ٱلْحُدَيْبِيَةِ . وَقَدْ رَأَىٰ عُمَرُ أَنَّ ٱلنَّاسَ يُجِلُّونَهَا ، وَيُصَلُّونَ عِنْدَهَا ، فَخَافَ أَنْ يَنْصَرِفَ تَكْرِيمَهُمْ لَهَا إِلَىٰ مَعْنًى مِنْ مَعَانِي ٱلْوَثَنِيَّةِ ، فَأَمَرَ بِقَطْعِهَا ، فَقُطِعَتْ .

# ٱلْخَـــاتِـمَـةُ

هَـذِي مَنَـاقِبُـهُ فِـي عَهْـدِ دَوْلَتِـهِ
لِلشَّـاهِـدِيـنَ وَلِـلأَعْقَـابِ أَحْكِيهَـا
فِـي كُـلِّ وَاحِـدَةٍ مِنْهُـنَّ نَـابِلَـةٌ
مِـنَ ٱلطَّبَـائِـعِ تَغْـذُو نَفْسَ وَاعِيهَـا
لَعَـلَّ فِـي أُمَّـةِ ٱلإِسْـلَامِ نَـابِتَـةً
تَجْلُـو لِحَـاضِـرِهَـا مِـرْآةَ مَـاضِيهَـا
حَتَّىٰ تَرَىٰ بَعْضَ مَاشَادَتْ أَوَائِلُهَا
مِـنَ ٱلصُّـرُوحِ وَمَـا عَـانَـاهُ بَـانِيهَـا
وَحَسْبُهَا أَنْ تَرَىٰ مَا كَانَ مِنْ عُمَرٍ
حَتَّـىٰ يُنَبِّـهَ مِنْهَـا عَيْـنَ غَـافِيهَـا

* تَمَّتْ بِحَوْلِ ٱللهِ وَقُوَّتِهِ *

# لِسَانُ حَالِ ٱللُّغَةِ ٱلْعَرَبِيَّةِ(١)

**لحافظ إبراهيم**

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَٱتَّهَمْتُ حَصَاتِي
وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَٱحْتَسَبْتُ حَيَاتِي(٢)
رَمُونِي بِعُقْمٍ فِي ٱلشَّبَابِ وَلَيْتَنِي
عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْمٍ عُدَاتِي
وَلَدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِد لِعَرَائِسِي
رِجَالاً وَأَكِفَّاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي(٣)
وَسِعْتُ كِتَابَ ٱللهِ لَفْظاً وَغَايَةً
وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ
فَكَيْفَ أَضِيقُ ٱلْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ
وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ

---

(١) نشرت في سنة ١٩٠٣م.
(٢) الحصاة : العقل والرأي .
(٣) وأد بنته : دفنها حية .

أَنَا ٱلْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ ٱلدُّرُّ كَامِنٌ
فَهَلْ سَأَلُوا ٱلْغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتِي ؟
فَيَا وَيْحَكُمْ أَبْلَىٰ وَتَبْلَىٰ مَحَاسِنِي
وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ ٱلدَّوَاءُ أُسَاتِي[1]
فَلا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنَّنِي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي
أَرَىٰ لِرِجَالِ ٱلْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً
وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ
أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِٱلْمُعْجِزَاتِ تَفَنُّناً
فَيَالَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِٱلْكَلِمَاتِ
أَيَطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ ٱلْغَرِيْبِ نَاعِبٌ
يُنَادِي بِوَأْدِي فِي رَبِيعِ حَيَاتِي
وَلَوْ تَزْجُرُونَ ٱلطَّيْرَ يَوْماً عَلِمْتُمُ
بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثْرَةٍ وَشَتَاتِ
سَقَىٰ ٱللهُ فِي بَطْنِ ٱلْجَزِيرَةِ أَعْظُماً
يَعُزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي

---

(١) الأُساةُ ، جمع الآسي ، وهو : الطبيب .

حَفِظْنَ وِدَادِي فِي ٱلْبِلَىٰ وَحَفِظْتُهُ
لَهُـنَّ بِقَلْـبٍ دَائِـمِ ٱلْحَسَـرَاتِ
وَفَاخَرْتُ أَهْلَ ٱلْغَرْبِ وَٱلشَّرْقُ مُطْرِقٌ
حَيَـاءً بِتِلْـكَ ٱلأَعْظُـمِ ٱلنَّخِـرَاتِ
أَرَىٰ كُـلَّ يَـوْمٍ بِـٱلْجَـرَائِـدِ مَـزْلَقـاً
مِـنَ ٱلْقَبْـرِ يُـدْنِينِـي بِغَيْـرِ أَنَـاةِ
وَأَسْمَعُ لِلْكُتَّابِ فِي مِصْرَ ضَجَّةً
فَـأَعْلَـمُ أَنَّ ٱلصَّـائِحِيـنَ نُعَـاتِـي
أَيَهْجُـرُنِـي قَـوْمِـي عَفَـا ٱللهُ عَنْهُـمُ
إِلَـىٰ لُغَـةٍ لَـمْ تَتَّصِـلْ بِـرُوَاةِ
سَرَتْ لَوْثَةُ ٱلإِفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَىٰ
لُعَابُ ٱلأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فُرَاتِ
فَجَاءَتْ كَثَوْبٍ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً
مُشَكَّلَـةَ ٱلأَلْـوَانِ مُخْتَلِفَـاتِ
إِلَى مَعْشَرِ ٱلْكُتَّابِ وَٱلْجَمْعُ حَافِلٌ
بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شَكَاتِي

فَإِمَّا حَيَاةٌ تَبْعَثُ ٱلْمَيْتَ فِي ٱلْبِلَىٰ
وَتُنْبِتُ فِي تِلْكَ ٱلرُّمُوسِ رُفَاتِي
وَإِمَّـــا مَمَـــاتٌ لا قِيَـــامَـــةَ بَعْـــدَهُ
مَمَـــاتٌ لَعَمْـــرِي لَـــمْ يُقَـــسْ بِمَمَـــاتِ

* * *

# الشعر والحياة(١)

لهاشم الرفاعي

فِـي رُبُـوعٍ ظِـلالُهَـا فَتَّـانَـهْ
يَبْسُـطُ ٱلسِّحْـرُ فَـوْقَهَـا أَلْـوَانَـهْ
صَـادِحُ ٱلطَّيْـرِ فِـي رُبَـاهَـا يُغَنِّـي
وَشَـدا لِلْخَمِيلَـةِ ٱلْفَيْنَـانَـهْ
وَجَـرَى ٱلْمَـاءُ بِـٱلْحَيَـاةِ نَمَـاءً
طَـرَّزَ ٱلعُشْـبُ وَٱلنَّـدَى غُـدْرَانَـهْ
وَنَسِيـمٌ مُـؤَرِّخٌ قَـدْ تَهَـادَى
فِـي مُجُـونٍ يُـدَاعِـبُ ٱلسِّنْـدِيَـانَـهْ
بَيْنَ تِلْكَ ٱلرُّبَا وَهَذِي ٱلمَغَانِي
وَٱلـرُّؤَى وَٱلْمَفَـاتِـنِ ٱلْعُـرْيَـانَـهْ
قَدْ عَرَفْتُ ٱلوُجُودَ طِفْلاً بَرِيئاً
حَظُّـهُ مِنْـهُ أَنْ يَمُـصَّ بَنَـانَـهْ

(١) نشرت بعنوان « صور وذكريات » في الديوان الذي طبع باسم الشاعر ( ولعلها قيلت سنة ١٩٥٩ ) [المحقق] .

وَرَأَيْتُ ٱلدُّنَا بِعَيْنِيْ صَبِيٍّ
لَمْ يَكُنْ بَعْدُ حَامِلاً أَحْزَانَهْ

يَتْبَعُ ٱلرِّفْقَةَ ٱلصِّغَارَ لِلَهْوٍ
قَدْ أَعَدُّوا فِي بَيْدَرٍ مَيْدَانَهْ

وَيَجِدُّونَ فِي ٱصْطِيَادِ فَرَاشٍ
طَافَ بِٱلْحَقْلِ مُسْرِعاً طَيَرَانَهْ

وَلَكَمْ عَرْبَدُوا بِضَفَّةِ نَهْرٍ
وَتَحَدَّىٰ سَبَّاحُهُمْ خُلْجَانَهْ

وَعَلَى ٱلشَّاطِىءِ ٱلْمُقَابِلِ رَاعٍ
سَاقَ لِلْعُشْبِ فَوْقَهُ قُطْعَانَهُ

وَإِذَا ضَمَّهُ مِنَ ٱلتُّوتِ ظِلٌّ
دَاعَبَ ٱلنَّايُ مُرْسِلاً أَلْحَانَهْ

لَسْتُ أَنْسَى ٱنْطِلاقَهُمْ فِي ٱللَّيَالِي
يَوْمَ أَدْنَى ٱلسُّرُورُ مِنْهُمْ دِنَانَهْ

أَزْعَجُوا ٱلنَّائِمِينَ بِٱلدَّرْبِ لَهْواً
صَارِخاً شَقَّ لِلْفَضَاءِ عَنَانَهْ

وَيَفِـــرُّونَ فِـــي قَـــرَارٍ خَفِـــيٍّ
حِيـنَ يَـأْتِـي ٱلخَفِيـرُ بِـٱلْخَيْـزُرَانَـهْ
ذِكْـرَيَـاتٌ تَلُـوحُ لِلْعَيْـنِ خَطّـاً
مِـنْ سَنَـىً أَوْهَـنَ ٱلأَسَـىٰ لَمَعَـانَـهْ
أَبْعَـدَ ٱلـدَّهْـرُ عَهْـدَهَـا وَفُـؤادِي
لَـمْ يَـزَلْ خَـالِطـاً بِهَـا خَفَقَـانَـهْ
وَوَعَـىٰ ٱلـرِّيـفُ صُـورَةً مِـنْ حَيَـاةٍ
بَـرَّةٍ عِشْتُهَـا ، وَسَـلْ رَمَضَـانَـهْ
أُمْسِيَـاتٌ مِـنَ ٱلضِّيَـاءِ وَلَيْـلٌ
رَفَّ فِـي جُنْحِـهِ ٱلإِخَـاءُ وَزَانَـهْ
سَـاهِـرٌ عِنْـدَهُ تَجَمَّـعَ قَـوْمِـي
حَـوْلَ شَيْـخٍ مُـرَتِّـلٍ قُـرْآنَـهْ[1]
فِي خُشُوعٍ لا يَسْمَعُ ٱلْمَرْءُ مِنْهُمْ
غَيْـرَ هَمْسٍ : سُبْحَـانَـهُ سُبْحَـانَـهْ
ٱلشُّمُـوعُ ٱلَّتِـي بِـأَيْـدِي صِغَـارٍ
أَسْعَـدَتْهُـمْ دُمُـوعُهَـا ٱلْهتَّـانَـهْ

(١) الساهر : مكان السّهر .

وَٱلأَسَـاطِيـرُ عَـنْ حُـرُوبٍ زَوَاهَـا
شَاعِرٌ فِي ٱلنَّدِيِّ أَعْلُوا مَكَانَهْ[١]
وَطُبُـولُ ٱلسُّحُـورِ فِـي هَـدْأَةِ ٱللَّيْـ
ـلِ بِفِطْـرِيِّ جَـرْسِهَـا رَنَّـانَـهْ
وَٱلتَّـرَاوِيـحُ تَحْـتَ خَفْـقِ شُعَـاعٍ
لِقَنَـادِيـلَ تَشْتَكِـي ٱلاسْتِكَـانَـهْ
وَٱلتَّسَـابِيـحُ كُـلَّ مَطْلَـعِ فَجْـرٍ
قَـبْـلَ أَنْ يُعْلِـنَ ٱلإِمَـامُ أَذَانَـهْ
وَدَبِيـبُ ٱلشُّيُـوخِ نَحْـوَ ٱلْمُصَلَّـى
أَمَّلُـوا عِنْـدَ رَبِّهِـمْ غُفْـرَانَـهْ
صُـورَةٌ تَمْـلأُ ٱلْغَـدَأَةَ خَيَـالِـي
حِيـنَ أَطْلَقْـتُ لِلْخَيَـالِ عَنَـانَـهْ

* * *

وَتَقَضَّـى ٱلصِّبَـا وَمَـرَّتْ لَيَـالٍ
حَـالِيَـاتٌ بِبِشْـرِهَـا مُـزْدَانَـهْ

---

(١) الندي : مكان اجتماع القوم للسمر أو مناقشة الأمور .

سَـارَ بِـٱلصِّبْيَـةِ ٱلـزَّمَـانُ وَوَالَـى
بِـــأَسَـــاهُ وَخَيْـــرِهِ دَوَرَانَـــهْ
فَـإِذَا ٱلانْطِـلاقُ سُجْـنُ كِفَـاحٍ
أَحْكَـمَ ٱلـدَّهْـرُ حَـوْلَهُـمْ قُضْبَـانَـهْ
أَسْلَمَتْهُـــمْ حَيَـــاتُهُـــمْ لِشَبَـــابٍ
قَـدْ قَضَـوْا فِـي نِضَـالِهِـمْ رَيْعَـانَـهْ
مِنْ حَنِيْنٍ فِي صَوْتِ وَرْقَاءَ تَشْدُو
عَرَفُوا ٱلْحُبَّ وَٱجْتَلُوا تَحْنَانَهْ(١)
كُلَّمَـا جَـاءَهُـمْ رَبِيـعٌ جَـدِيـدٌ
يَشْهَدُ ٱلزَّهْرُ وَٱلْهَوَىٰ مَهْرَجَانَهْ
وَعَـنِ ٱلْفَجْـرِ حِيـنَ يَبْـدُو كَبِيـراً
نَـاشِـراً مِـنْ وَضَـاءةٍ طَيْلَسَـانَـهْ(٢)
عَـرَفُـوا لَـذَّةَ ٱزْدِهَـارِ ٱلأَمَـانِـي
فِـي قُلُـوبٍ لِنَيْلِهَـا ظَمْـآنَـهْ

---

(١) نشرت في الديوان السابق « واجتنبوا » والأصل كما ورد هنا .

(٢) الطيلسان : الأعجمي ، ويقصد به البياض والضوء .

وَتَجِيشُ ٱلنُّفُوسُ بِٱلأَمَلِ ٱلـ
ـحُلْوِ لِيَقْضُوا مِنَ ٱلْحَيَاةِ لُبَانَهْ[١]

ٱلأَنِينُ ٱلْمَكْتُومُ فِي صَدْرِ كَهْلٍ
شَحَنَ ٱلْغَرَامُ بِٱلْقُوَى شِرْيَانَهْ

فِي سَبِيلِ ٱلْبَقَاءِ يُفْنِي وَيُشْقِي
مِنْ دُمُوعٍ وَمِنْ دَمِ عِيدَانَهْ

بِذِرَاعٍ مَعْرُوقَةٍ أَثْقَلَتْهَا
يَدُ فَأْسٍ يَبُثُّهَا أَشْجَانَهْ

يَتَوَلَّى زُرُوْعَهُ كَصِغَارٍ
وَأَبٍ قَدْ أَذَابَ فِيهِمْ حَنَانَهْ

لِلثَّرَى عَاشَ ثُمَّ فِي ذَاتِ يَوْمٍ
سَيُوَارِي هَذَا ٱلثَّرَىٰ جُثْمَانَهْ

* * *

لَوْحَةٌ لا تَزَالُ تَنْبِضُ بِٱلرِّيـ
ـفِ صِرَاعاً وَعِزَّةً وَأَمَانَهْ

---

(١) اللبانة : الحاجة .

تَـدْفَـعُ ٱلْمَـرْءَ لِلْكِفَـاحِ مَـرِيـراً
وَتُقَـوِّي بِنَفْسِـهِ إِيمَـانَـهْ
وَلَكَـمْ أَضْـرَمَـتْ شُعُـورَ أَدِيـبٍ
عَـاشَ فِيهَـا وَأَلْهَبَـتْ وُجْـدَانَـهْ
مَـلأَتْ صَـدْرَهُ أَحَـاسِيـسُ شَتَّـى
صَبَغَـتْ بِـٱلأَسَـى ٱلْعَمِيـقِ بَيَـانَـهْ
وَسَمِعْنَـا ٱلْقَـرِيـضَ مِـنْ فَـمِ شَـادٍ
أَنْطَقَـتْ بِـٱلْجَمِيـلِ مِنْـهُ لِسَـانَـهْ
فجَرَىٰ كَٱلسُّهُولِ صَفْواً أَوْ كَٱلزَّ
رْعِ نَمَـاءً وَكَـٱلطِّبَـاعِ رَزَانَـهْ
لَفْظُـهُ فِـي صَـلابَـةِ ٱلأَرْضِ نَسْجـاً
وَٱلْمَعَانِي فِي رِقَّةِ ٱلأُقْحُوَانَهْ(١)

* * *

أَيُّهَـا ٱلْهَـاتِفُـونَ بِـٱلشِّعْـرِ حُـرّاً
وَلَكُـمْ دَعْـوَةٌ بِـهِ طَنَّـانَـهْ

---

(١) الأقحوان : البابونج ، وهو نبت طيب الريح ، حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر ، والجمع : أقاحي وأقاح .

قَــدْ أَتَيْتُــمْ لَــهُ بِنَهْــجٍ غَــرِيــبٍ
يَعْــرُضُ ٱلْيَــوْمَ بَيْنَكُــمْ سُلْطَــانَــهْ
وهَجَــرْتُــمْ تَــوَافِــهَ ٱلْمُتَنَبِّــي
وَأَبَنْتُــمْ بِعِلْمِكُــمْ نُقْصَــانَــهْ
وتَشَــدَّقْتُــمْ بِــزُخْــرُفِ قَــوْلٍ
عَــنْ مَفَــاهِيــمَ نَمَّقَتْهَــا ٱلــرَّطَــانَــهْ[1]
ثــمَّ قُلْتُــمْ مِــنَ ٱلْحَيَــاةِ كَــلامــاً
وَمِــنَ ٱلْــوَاقِــعِ ٱسْتَمَــدَّ كَيَــانَــهْ
لَيْــسَ شِعْــراً وَإِنَّمَــا هُــوَ شَــيْءٌ
فَــوْقَــهُ ٱلشِّعْــرُ رُتْبَــةً وَمَكَــانَــهْ
ذَهَبَــتْ عَنْــهُ رَوْعَــةٌ لِلْحُــونِ
يَــرْهُــفُ ٱلــدَّهْــرُ عِنْــدَهَــا آذَانَــهْ[2]
وَخَــلا مِــنْ أَصَــالَــةٍ وَجَــلالٍ
بِهِمَــا أَظْهَــرَ ٱلــزَّمَــانُ ٱفْتِتَــانَــهْ

---

(١) الرَّطانة ، بفتح الراء وكسرها : الكلام بالأعجمية .

(٢) اللحن : الخطأ في الإعراب .

إِنَّـــهُ أَبْصَـــرَ ٱلْحَيَـــاةَ سَقِيمـــاً
حَـــامِـــلاً فِـــي يَمِينِـــهِ أَكْفَـــانَـــهْ
أَيَعِيـــشُ ٱلْـــوَلِـــدُ وَٱلـــدَّاءُ يَمْشِـــي
بَيْـــنَ جَنْبَيْـــهِ نَـــاشِـــراً سُلْطَـــانَـــهْ
إِنَّمَـــا ٱلشِّعْـــرُ مَـــا تَـــدَفَّـــقَ عَـــذْبـــاً
فِـــي بِنَـــاءٍ فَـــأَحْكَمُـــوا بُنْيَـــانَـــهْ
أَسْمِعُـــونَـــا إِذا ٱسْتَطَعْتُـــمْ قَـــرِيضـــاً
لا خَيَـــالاتِ جَـــالِـــسٍ فِـــي حَـــانَـــهْ
فَـــإِذَا شقَّـــتِ ٱلقُيُـــودُ عَلَيْكُـــمْ
فَـــدَعُـــوهُ لِمَـــنْ يَصُـــوغُ جُمَـــانَـــهْ[1]
إِنَّنِي مَا رَأَيْتُ فِي ٱلرَّوْضِ يَوْماً
مَـــا ، غُـــرَابـــاً مُـــزَاحِمـــاً كَـــرَوَانَـــهْ[2]

* * *

أمِـــنَ ٱلْفَـــنِّ أَنْ يُسَـــاقَ كَـــلامٌ
سَـــاذَجٌ بِـــٱسْـــمِ نَهْضَـــةٍ شَيْطَـــانَـــهْ ؟

---

(١) الجمانة : حبة تعمل من الفضة كالدرة .

(٢) الكروان : طائر ، قيل : هو الحبارىٰ ، له صوت جميل .

طَالِعُوا ٱلنُّورَ فِي تُرَاثِ ٱلْقُدَامَى
وَٱنْظُرُوا كَيْفَ أَبْدَعُوا تِيجَانَهْ
سَجَّلُوا ٱلْوَاقِعَ ٱلْمُرَادَ وَلَكِنْ
جَعَلُوا ٱلْفَنَّ عَالِياً تَرْجُمَانَهْ
رَسَمُوا صُورَةَ ٱلْحَيَاةِ لَدَيْهِمْ
فِي جَلاءٍ بِرِيشَةٍ فَنَّانَهْ(١)
لا أُنَادِي بِأَنْ تُحَاكُوا زُهَيْراً
فِيهِ أَوْ أَنْ تُقَلِّدُوا حَسَّانَهْ(٢)
رَاحَ عَهْدُ ٱلْوُقُوفِ بِٱلطَّلَلِ ٱلْبَا
كِي فَلا تَذْكُرُوا بِهِ سُكَّانَهْ
جَدِّدُوا مَا ٱسْتَطَعْتُمْ فِي ٱلْمَعَانِي
وَقِفُوا لا تُحَطِّمُوا أَوْزَانَهْ

---

(١) هذا البيت والأبيات الثلاثة التي سبقته لم أجدها في الأصل ، وإنما وجدت سهماً في موضعها وكأنه يشير إلى وجود أبيات في موضعها ولا أدري أين وجدها ناشر الديوان الأستاذ حته .

(٢) زهير بن أبي سلمى : من شعراء المعلقات في الجاهلية ، عرف بحكمه وعنايته الشديدة لشعره . وحسان بن ثابت : شاعر الرسول ﷺ من الأنصار ، له شعر في الجاهلية والإسلام ، عاش طويلاً .

لَيْسَتِ ٱلْفِكْرَةُ ٱلْجَدِيدَةُ تَأْبَى
عَرْضَهَا فِي جَزَالَةٍ وَرَصَانَهْ
أَلْبِسُواهَا مِنَ ٱلْقَوَافِي خُلُوداً
وَمِنَ ٱلْوَزْنِ قُوَّةً وَمَتَانَهْ
لا تُحِيطُوا تُرَاثَنَا بِلَهِيبٍ
فِي غَدٍ تَكْرَهُ ٱلْعُيُونُ دُخَانَهْ
كُلُّ نَهْجٍ أَتَى لِيَسْتُرَ عَجْزاً
تَتَّقِيهِ وَتَزْدَرِي بُهْتَانَهْ
رَبِّ إِنِّي عَلَى ٱلْقَدِيمِ مُقِيمٌ
وَأُعِدُّ ٱلْخَلاصَ مِنْهُ خِيَانَهْ

* * *

# فهرس
# عمرية حافظ

كلمة الناشر ..... ٥
ترجمة حافظ إبراهيم ..... ٥
مؤلفاته ..... ٨
مصادر ومراجع ..... ١٠
١ ـ كتب خاصة به ..... ١٠
٢ ـ كتب تناولته بالبحث ..... ١٢
٣ ـ مقالات المجلات العربية ..... ١٤
ترجمة مصطفى بك نجيب ..... ٢٢
مؤلفاته ..... ٢٣
ترجمة محمد الخضري ..... ٢٤
مؤلفاته ..... ٢٥
مصادر ومراجع ..... ٢٧
ترجمة عبد الحميد حمدي ..... ٢٨
ترجمة هاشم الرفاعي ..... ٢٩
هذا الكتاب ..... ٢٩
هذه الطبعة ..... ٣٣
سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه/ مصطفى بك نجيب ..... ٣٦
أعماله في خلافته ..... ٤٠
أمر فارس ..... ٤١
مقتل سيدنا عمر بن الخطاب ..... ٥٦
عمرية حافظ إبراهيم ..... ٥٩
كلمة للطابع الأول عبد الحميد حمدي ..... ٦١

عمر .....
مقدمة الأستاذ الجليل الشيخ محمد بك الخضري ..... ٦٤
العمرية ..... ٧١
مقدمة العمرية ..... ٧٣
مقتل عمر ..... ٧٣
إسلام عمر ..... ٧٧
عمر وبيعة أبي بكر ..... ٨١
عمر وعلي ..... ٨٤
عمر وجبلة بن الأيهم ..... ٨٥
عمر وأبو سفيان ..... ٨٦
عمر وخالد بن الوليد ..... ٨٨
عمر وعمرو بن العاص ..... ٩٥
عمر وولده عبد الله ..... ٩٦
عمر ونصر بن حجّاج ..... ٩٧
عمر ورسول كسرى ..... ٩٨
عمر والشورى ..... ١٠٠
مثال من زهده ..... ١٠١
مثال من رحمته ..... ١٠٢
مثال من تقشّفه وورعه ..... ١٠٣
مثال من هيبته ..... ١٠٦
مثال من رجوعه إلى الحق ..... ١٠٨
عمر وشجرة الرضوان ..... ١١٠
الخاتمة ..... ١١١
لسان حال اللغة العربية ـ لحافظ إبراهيم ـ ..... ١١٢
الشعر والحياة ـ لهاشم الرفاعي ـ ..... ١١٦
الفهرس ..... ١٢٧